

# حراء

السنة السادسة عشرة / (مارس - أبريل) ٢٠٢١

مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

83

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | March - April 2021

## سُنَّة السعي

سَتَشُقُّ الصَّخْرَ وَتَتَدَفَّقُ  
مَا دُمْتَ بِخَيْرٍ تَتَعَلَّقُ  
وَتُحِيلُ الْأَرْضَ إِلَى رَوْضٍ  
فِي عَيْنِ الدُّنْيَا يَتَأَلَّقُ  
مَهْمَا الْأَرْوَاحُ سَعَتَ عَجَلَى  
فَالسُّنَّةُ حَتْمًا تَتَحَقَّقُ



الطفل والقراءة الإبداعية  
د. بركات محمد مراد

٤٦

أنسنة الحاسب الكبسولة  
د. عواطف كركيش

١٧

الحرية  
فتح الله كولن

٢

## قافلة حراء

القيم في ديوان صغير يرى العالم"، ويرينا بركات محمد مراد العلاقة الإيجابية بين "الطفل والقراءة الإبداعية".. وفي الفكر يصف الأستاذ كولن "داء الإلحاد" ويكشف عن "دوائه"، ويستدعي أسعد النوبي "حجر الفلاسفة" وتابوت العهد من الأساطير والحكايات الخيالية إلى عالم الواقع، ويرينا موقع كل منهما في العالمين، ويشرح عبد القادر جابر في مقاله إلى أي مدى يرسخ "الأمن الفكري أمان المجتمع واستقرار الحياة".. أما عبد الواحد أبو حطب الذي تألق مديراً لندوة حراء، فقد واصل تألقه في عرضها للقراء في هذا العدد، حيث استضافت الندوة نخبة من المثقفين ورجال الدين الإسلامي والمسيحي، لتعميق البحث والحوار حول قضايا المشترك الإنساني، وهو بالمناسبة اسم لآخر كتاب صدر عن مكتبة حراء.

وفي واحة الأدب تطالعنا ألوان وظلال في أغلفة المجلة ببدع الأفكار وروائع الأشعار، ويطربنا العربي السيد عمران في قصيدة "بشارة"، وتذيقنا سمر فتحي السيد "طعم النور" في قصتها المبدعة.

وعود على بدء يترنم الأستاذ كولن بنشيد "الحرية" في مقاله الافتتاحي، مبيناً صور هذه الحرية وطرائق الإنسانية في فهمها، ومنبهاً على ضرورة الانضباط في ممارستها حتى لا تواجهنا الأجيال بردة فعل عنيفة تصل إلى حد جلد أسلافها في بعض الأحيان.. ويختتم صابر عبد الفتاح المشرفي العدد بعرض كتاب صدر جديداً بعنوان "أنين الروح" وهو نفحة جديدة من نفحات الأستاذ كولن التي نقلت إلى العربية. ■

عدد مميز يستهل بالحرية ويختتم بأنين الروح، وما بين براعة الاستهلال وحسن الخاتمة تصف قافلة المقالات نفسها، فتعالج أمراض البدن في مقال: "الزهايمر والعودة إلى الوراء" لسريعة سليم حديد، وتتناول طريقاً من طرق تناول الدواء، له فعالية في التداوي ومرجعية في السنة النبوية وهو "السعوط في السنة والطب الحديث" لنيروز بن زقوطة، وتلم بالجائحة التي أصابت العالم من كذا طريقاً، فتقدم الإرشادات "لكل من يبحث عن علاج كورونا" لسينام أقبولاق، وتستنبط العبر في "كورونا.. دروس وعبر" للشريف حاتم العوني.. وبذلك تقدم وصفة متكاملة تتعلق بالواقع وتستشرف المستقبل، وتمزج بين الفكر والعلوم في توليفة عجيبة تتوخاها حراء في خطها دائماً. وتتابع قافلة العلوم رحلتها فيقدم نبيل سليم رؤية في "قراءة الدماغ والتنبؤ بالسلوك المستقبلي"، وتتساءل عواطف كركيش في "أنسنة الحاسب الكبسولة" هل سيتمكن العلم من أنسنة الحواسيب من خلال الربط بينها وبين المخ البشري بشكل عضوي؟ ويفسر لنا محمد السقا عيد في "الخداع البصري" كثيراً من الخدع البصرية التي تتراءى للعين ويظنها الإنسان حقيقة، ويكشف لنا ناصر أحمد سنه في إطار فكري عن "الأوهام العشرة للعلم الحديث".

وتتهادى قافلة المجلة بين محطات التربية والفكر والأنشطة الثقافية، وهي بين ذلك تحددو رحلتها، وتستروح قارئها في دوحة الأدب وأفانينه؛ ففي التربية يقدم سليمان أحمد شيخ سليمان أولى حلقاته في "ما قبل التربية"، ويبرز أحمد تمام سليمان أهمية "غرس



٢	الحرية / فتح الله كولن (المقال الرئيس)
٥	قراءة الدماغ والتنبؤ بالسلوك المستقبلي / أ.د. نبيل سليم (علوم)
٩	غرس القيم لدى الطفل في ديوان صغير يرى العالم / د. أحمد تمام سليمان (تربية)
١٣	السُّعوط في السنَّة والطب الحديث / د. نبروز بن زقوطة (علوم)
١٧	أنسنة الحاسب الكبسولة / د. عواطف كركيش (علوم)
٢١	الأوهام العشرة للعلم الحديث / د. ناصر أحمد سنه (قضايا فكرية)
٢٥	الزهايمر والعودة إلى الوراء / سريعة سليم حديد (علوم)
٢٩	كورونا.. دروس وعبر / د. الشريف حاتم العوني (قضايا فكرية)
٣١	بشارة / العربي السيد عمران (شعر)
٣٢	داء الإلحاد ودواؤه / فتح الله كولن (قطوف)
٣٤	حَجَر الفلاسفة وتابوت العهد / أسعد النوي (قضايا فكرية)
٣٨	الخداع البصري / د. محمد السقا عيد (علوم)
٤٢	الأمن الفكري أمان المجتمع واستقرار الحياة / عبد القادر جابر (قضايا فكرية)
٤٦	الطفل والقراءة الإبداعية / د. بركات محمد مراد (تربية)
٥٠	ما قبل التربية / سليمان أحمد شيخ سليمان (تربية)
٥٣	طعم النور / سمر فتحي السيد (قصة)
٦٠	لكل من يبحث عن علاج كورونا / أ.د. سينام أقبولاقي (علوم)
٥٩	حراء تعقد ندوة دولية بعنوان المشترك الإنساني / د. عبد الواحد أبو حطب (أنشطة ثقافية)
٦٣	أنين الروح / صابر عبد الفتاح المشرفي (تحليل كتاب)

# الحرية

لقد ظل الإنسان في بحث حثيث عن الحرية منذ أول يوم خلق فيه. وقد تجلّى بحثه عن الحرية أحياناً في شكل إحساسه بإرادته ومحاولة تحقيقها بالكامل، وأحياناً تحوّل هذا البحث إلى محاربة كل ما يضع عليه القيود، بما في ذلك الدين أو الدولة أو الأعراف والعادات، أو الأخلاق.

وقد اتحدت هذه الحرب صوراً وأساليب مختلفة؛ فأحياناً ظهرت بلهجة ليبرالية مخادعة، وأحياناً برزت عبر صرخات العدمية السخيفة، وأحياناً من خلال الأوهام الإلحادية العدوانية، وأحياناً من خلال أفكار شيوعية هي أقرب ما تكون إلى البوهيمية.

نعم، كانت فكرة الحرية التي انطلقت في بعض الدول الأوروبية -وخاصة في إنجلترا- على لسان الحركات العمالية، مختلفة عن فكرة

ل



إننا لم نحافظ على التوازن في معالجة قضية الحرية، وتجاهلنا كل ما يرتكب من الفظائع، فسيواجهنا الأجيال الذين نشأوا في بحبوحة من الحرية غير المنضبطة، بردة فعل عنيفة، وسيعاقبوننا، بل وسيعاقبون أنفسهم أيضًا، وسيعاقبون أمتنا بمختلف أنواع العلل وأشكال البلاء.

حزاء

وقد وصل تأثير هذه النظرة الجديدة للحرية إلى مستوى جعلتها تتحكم فينا، ولم تتمكن من التخلص من سحرها مهما أردنا ذلك.

وقد غلب تأثير الجنون الذي نتعرض له في عصرنا، على عبقریات العصور السابقة، لدرجة أننا طردنا عن ساحتنا جميع أعرافنا وعاداتنا وتقاليدنا الأصيلة، وجعلنا بلادنا من أقصاها إلى أقصاها، منطقة حرة تروج فيها الأفكار الأجنبية.

وفي هذه الفترة العكرة أيضًا، تكالب الآخرون على أعراضنا وكرامتنا، وانتهكوا عزة أمتنا مرارًا وتكرارًا. وأما مقوماتنا التاريخية التي تُعتبر أساس وجودنا، فقد أزيلت من كياننا واحدة تلو الأخرى، وأقيمت نزوات طفولية وتخيلاتٍ حمقاءٍ مقام تلك القيم الخالدة، وضُخَّ في أرواحنا الإلحاد بدلًا من العقيدة والإيمان، ورُحِبَ بالعدمية في كل مكان على أنها فكرة مُنقّذة، وزُيِّفت حياتنا القلبية وتربيتنا الروحية، ليتسع المجال لتربية أجيال ترى الحياة عبارة عن جسم وبدن. وفي نهاية المطاف، لاقت النفسانية رواجًا لدى معظم الشرائح؛ وإذا بنا أمام جيل ناشئ منهمك في الملذات، ومتخبط في مستنقع مروع ومليء بكل أصناف المخدرات، وأشكال الفواحش التي تفسد المجتمعات وتدمرها.

وانكشفت الحياة الجنسية أمام الأنظار حتى إن أكثر الصور براءة -ولا يسمح لي أدبي بأن أسميها "فاحشة"- كانت بشكل تغوي النفوس النقية، وتغري القلوب النظيفة، لدرجة أنه تم تفسير جميع المشاعر الإنسانية على أنها تخدم منطقة الأسنان والحنك والمريء والأعضاء التناسلية.

الحرية التي عرفناها من الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر، كما أن نظرة الرأسماليين هي أيضًا مختلفة اختلافًا كبيرًا من وجهة نظر الشيوعيين.

نظر إليها "كارليل" بشكل مختلف.. وفسرها "غوته" تفسيرًا آخر، وعلق عليها "روسكين" تعليقات غريبة.. وأظهرها "هولدرلين" وكأنها وصفة سحرية.. وفهمها "ماركس" على أنها إطلاق الغرائز الحيوانية في الإنسان.. وطرحها "نيتشه" في قالب فلسفة جنونية.

أما اليوم، فيُنظر إلى الفلسفة من خلال إعادة تفسير الحرية، من منظور هذه المنظورات القديمة، وإلباسها لباس المنطقية والعقلانية، ولكنها في حقيقتها تعني إطلاق العنان للجماهير لتسرح وتمرح في إطار رغباتها ونزواتها النفسانية.

وبطبيعة الحال، كان من المحتم أن تجلب مثل هذه النظرة معها كثيرًا من السلبيات، وهذا ما وقع فعلاً.

خلال هذه الفترة ظهر موقف مختلف تجاه الدين. وتمت قراءة الأحداث التاريخية وتقويمها، من خلال تمريرها من منشور غريب عليها، لتنعكس إلى أذهاننا خلاف واقعها، وفاقت قيم الإدارة والاقتصاد والسياسة كل القيم الإنسانية، فُفسر الإنسان على أنه حيوان اقتصادي.

باختصار، أصبح عصرنا، في أيدي عبقرية أو مجنونة، عصرًا مليئًا بالغرابات والمفاجآت.

في غضون ذلك، عملت السينما والمسرح والأدب، كمؤسسات دعائية لهذا التفسير الجديد، ونقلت إلينا كل مساوئ الحضارة ومحاسنها -وطبعا كانت حصة المساوئ أوفر- ومثلت معظم شرائح المجتمع على أكمل وجه، لتبهرننا أمام مظاهر تلك العوالم السحرية إلينا، وتنقلها حتى إلى غرف نومنا، وتجعلها جزءًا لا يتجزأ من حياتنا، ودفعتنا إلى اغتراب جعلنا في فصام مع أمتنا وقيمنا الذاتية.

بينما كنا نعيش غافلين عن مقوماتنا التاريخية وجذورنا المعنوية، بل غير مباليين بما يحدث في جارنا الملاصق، إذا بنا أصبحنا فضوليين تجاه أناس في أمريكا أو أستراليا أو الشرق الأقصى، نسمع تنهاتهم ونلمس مشاعرهم التي يعيشونها في عقر دارهم.

وأصبح البعض يبحثون عن مظاهر الفكر الفرويدي حتى في سلوك الأطفال الأبرياء عندما يرضعون أثناء أمهاتهم، بل منهم من ادعى أنه هو الفكر الفرويدي بعينه. إن الوعي البشري الذي سلّم زمامه لهذه الميول الجنسية، بدأ الآن يوظّف كل إمكانياته في البحث عن إشباع الرغبات البدنية، ويركز على متطلبات الجسد ليل نهار، فيسخّر لذلك حتى كراسي الجامعات ومراكز البحث والمختبرات المدرسية والصحف والمجلات والأفلام الإباحية، وحتى أجهزة الراديو والتلفزيون التي تستطيع أن تتسلل إلى غرف النوم.

ففي مثل هذا الجو، كان من الصعب جداً على العفة والشرف والحياء، أن تقاوم ضراوة الجسمانية.. نعم كان صعباً؛ لأن الرغبات النفسانية كانت دائماً تعيش حالة من الجوع، بسبب ما تتعرض له من مختلف الاستفزازات والحوافز والعوامل التي تجبر الطبيعة البشرية على الانصياع لها.

وكم ستتحسر ونشفق على البشرية البائسة؛ إذا عرفنا أنها في نهاية المطاف قد تحولت إلى كيان جسدي بحت، لا يفتأ يلهث وراء إشباع نزواته وشهوته، ولا يعرف الشعب بتأثراً، وقد تشوّه جانبه الإنساني، وصار يعيش في عقله الباطن عراقاً مع ما يخالجه من تلك المشاعر ونقاط الضعف البشرية التي يصعب التغلب عليها حتى مع مكافحة بالغة في منتهى البطولة.

إن الذين يعيشون حياتهم على هذا الخط - طبعاً إن صح التعبير بالخط - ويسلكون طريق أولئك الوقحين الذين فسروا الحرية هذا التفسير الغريب، قد استبدلوا الأخلاق والفضيلة بالغريزة الجنسية التي اعتبروها "دينامو الحياة الإنسانية".

والأنكأ للجرح، أن هؤلاء بينما خططوا لذلك وطبقوه، لم يكن يبدو على وجوههم أدنى علامة على الاستحياء.

ومن يدري كم سنرى في عالمهم المظلم قيماً قد انقلبت رأساً على عقب، وسنرتجف حيال ذلك!

لقد برزت حالات الاكتئاب الناجم عن الإلحاد، وانتشرت حالات من عدم الشعب بسبب القطيعة عن الله، وتفتت أمراضٌ وعلل جراء الانهماك في الحياة الشهوانية

-ولا يسمح لي حيائي بأن أصرح بأسماء تلك الأمراض- وأشرفت أجيال على الانقراض نتيجة سقوطها في شبك المخدرات. شباب تحولوا إلى بوهميين، وبيوت هي أشبه ما تكون بغرف الفنادق، وجماهير أصبحت منفتحة على الانفلات والفوضى، لا قدر الله.

نعم هذه بعض النماذج للسلبات التي نعيشها.. وإذا استمرنا على فهم الحرية بهذا التفسير الخاطيء، ولم نضعها في إطارها الحقيقي للحيلولة دون إساءة استخدامها، فستقدّم أمتنا مزيداً من الضحايا وستعرض للتآكل الروحي الذي يقصم ظهورنا. وفي المستقبل القريب ستؤدي هذه الحرية المنفلتة، إلى إنهاك الأجيال الناشئة أكثر مما هم عليه الآن، وستدفعهم من اكتئاب إلى اكتئاب آخر، حتى ينتهي بهم المطاف إلى الانقراض. ولقد عاش الناس قبلنا في شتى أنحاء العالم هذا النمط من الحرية الفوضوية، ولكن عندما انكشفت لهم عواقبها الوخيمة، سرعان ما تحركوا للبحث عن معالجة الأوضاع.

فقد أمضى أمثال أوغست كونت، وإرنست رينان، وس. موريوس، أعمارهم بأحلام بالحرية، لكنهم عندما واجهوا هذا التصور المتطرف والجنوني للحرية الذي يناقض بعض القيم الإنسانية ويدمرها، تحولوا إلى مناهضين للحرية وأعداء لها. ولا شك أن موقفهم السابق كان إفراطاً في الدفاع عن الحرية، كما أن موقفهم الأخير هو أيضاً تفريط رهيب في حقها.

فإذا لم نحافظ على التوازن في معالجة قضية الحرية، وتجاهلنا كل ما يُرتكب من الفظائع والفجائع، واعتبرنا من ينادون إلى "وضع حدود وضوابط للحرية" أعداء الحرية، بل وحاولنا معاقبتهم، فسواجبنا الأجيال الذين نشأوا في بحبوحة من الحرية غير المنضبطة، بردة فعل عنيفة وسيعاقبوننا، بل وسيعاقبون أنفسهم أيضاً، وبالتالي سيعاقبون أمتنا بمختلف أنواع العلل وأشكال البلاء. ■

(٥) نشر هذا المقال في مجلة "سيزتي" التركية، العدد: ٢٠٢ (نوفمبر ١٩٩٥)، تحت عنوان "Hürriyet". الترجمة عن التركية: أجير أشيوك.

علوم

أ.د. نبيل سليم\*



## قراءة الدماغ والتنبؤ بالسلوك المستقبلي

يقول العالم الفيزيائي "سكينز": "إن الفيزياء والبيولوجيا الحديثة، تعالج بنجاح موضوعات ليست -بالتأكيد- أبسط من نواح كثيرة من السلوك البشري، ولكن الفرق أن الأدوات والمناهج التي تستخدمها الفيزياء والبيولوجيا، هي ذات تعقيد متكافئ مع تعقيد الموضوع. ولكن قولنا إن الأدوات والمناهج ذات القوة المتكافئة غير متوافرة في ميدان السلوك البشري، لا تعد تفسيراً، بل إنها فقط جزء من اللغز المحير، فهل وضع إنسان على سطح القمر أسهل من تحسين التربية في مدارسنا؟".

ي



ويبدو أن التراكمات الكمية من المعرفة هي التي حققت هذه القفزة النوعية من الإنجاز، وهو ما لم يحدث حتى الآن في علوم فهم الإنسان، يقول سكينر: "كان الشيء المثير في الوصول إلى القمر يكمن في كونه أمراً قابلاً للتحقيق؛ فقد وصل العلم والتكنولوجيا إلى النقطة التي يمكن عندها أن يتحقق هذا الأمر بدفعة عظيمة واحدة، وليس هناك من إثارة مشابهة في المشكلات التي يطرحها السلوك البشري". ومع هذا، فإن ضفيرة سميكة من العلوم تتشابك لسبر غور الإنسان.

منذ ظهوره أول مرة عام ١٩٩٢، أحدث التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي (fMRI) ثورة في قدرتنا على رؤية المخ البشري أثناء عمله، وعلى فهم العمليات التي تقف وراء الوظائف العقلية، مثل صناعة القرار، ومع نمو تقنيات تصوير الدماغ لتصبح أكثر قوة، امتد تأثيرها من المعمل إلى العالم الحقيقي.

إن وقفة مع بعض الطرق التي بدأ التصوير العصبي يؤثر بها على رؤيتنا للسلوك البشري وللمجتمع، توازن بين حماس مستحق لتقنية الرنين المغناطيسي الوظيفي وتقدير واع لحدودها ومخاطرها. فتقنية الرنين المغناطيسي الوظيفي، تعتمد على قياس أكسجة الدم الوارد إلى المخ لتصوير النشاط بالرنين العصبي. وهنا نطرح سؤالاً مركزياً في مجال التصوير العصبي، هو "هل تستطيع هذه التقنية قراءة الأفكار؟"

لقد جرى في السنوات الأخيرة استخدام المعلومات المأخوذة بواسطة الرنين المغناطيسي الوظيفي في فك شفرة محتوى الأفكار والحالات العقلية أثناء النوم. ولكن لم تكف هذه الطرق لتمكين الباحثين من فك شفرة "لغة الأفكار" أثناء اليقظة -وهي المقصودة ضمناً بقراءة الأفكار- عند الكثيرين. ولكن في ظل الاستخدام المتنامي للطرق المتقدمة لتعلم الآلة -مثل الشبكات العصبية العميقة- في تحليل البيانات الخاصة بالتصوير العصبي، أصبح الأمر مسألة وقت فقط.

إن عيوب التقنية -المتثلة تحديداً في غياب درجة يعتد بها من الدقة- أبقته حتى الآن خارج المحاكم

الجنائية، إذ إن شبكة المخ المستخدمة في الأحكام الأخلاقية، لا يمكن لها أن تتعرض للتشوش في حالات مثل حالة المرض العقلي. ونظرًا لأنه ليس كل الأفراد المصابين بهذه الأمراض يرتكبون أفعالاً إجرامية، فإن التصوير العصبي يحتمل أن يكون وسيلة غير صالحة للتنبؤ الدقيق بالسلوك الإجرامي.

أما مجال بحوث "التسويق العصبي" الآخذ في الظهور، فيثير بعض المخاوف أيضاً. واستناداً إلى بحوث مثل دراسة "الكولا مقابل البيبسي"، التي تبين أن نشاط المخ يكشف عن تفضيلات المستهلكين من البضائع، يطالب الباحثون بقوانين تنظيمية أقوى، للحيلولة دون إساءة استخدام هذه التكنولوجيا.

ومن المشكلات الأساسية في تفكير العامة بشأن علم الأعصاب -تلك التي غالباً ما أسميتها "الثنائية الشعبية"؛ وهي الفكرة القائلة بأن هناك اختلافاً على نحو ما، وهو الأمر الحاسم في التطبيق القانوني للتصوير العصبي، بين المخ والعقل، وهو اختلاف وثيق الصلة بفهم أفعال البشر. "إن قولك مَخِّي جعلني أفعل ذلك" ليس له معنى، وهو شبيه بقولك إن "جي كي رولينغ" أقتعت مؤلفة سلسلة روايات "هاري بوتر" بكتابة سبعة كتب عن الصبي الساحر".

إن التحديات المستمرة التي تواجه إعادة إنتاج بعض التأثيرات السيكولوجية -على سبيل المثال- أحدثت مناقشة عميقة ومحايدة إلى حد كبير لما يسمى "نضوب الأنا"، الذي يفترض أن ممارسة ضبط النفس في أحد المجالات -مثل حل مسألة إدراكية صعبة- تنتقص



نجح باحثون ألمان في معرفة قرارات الإنسان بشكل مسبق من خلال مراقبة نشاط الدماغ خلال نشاط العمل أو اليقظة. وجدوا أن النموذج العصبي الذي ينبئ بتصرف محدد للإنسان، يظهر قبل عشر ثوان تقريباً من صدور هذا التصرف.

حذاء

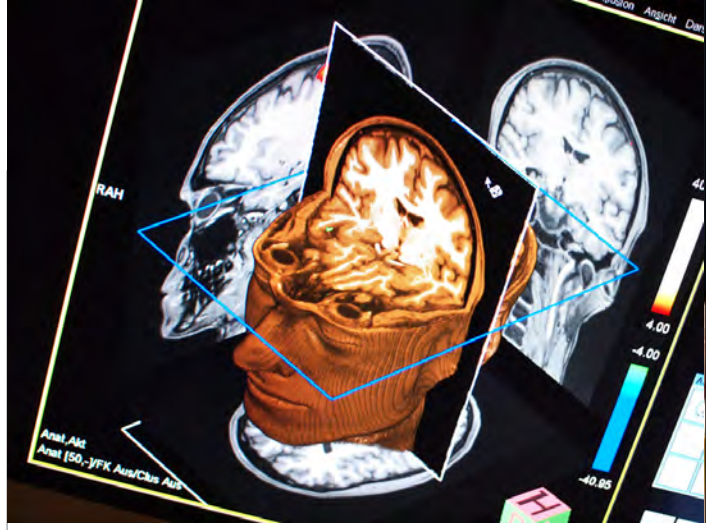
وهناك مشكلة "الاستدلال العكسي" كما في مرحلة نفسية ما -ولتكن الخوف- بنشاط يحدث في منطقة محددة بالدماغ -مثل اللوزة الدماغية- هو أمر مثير للجدل، لأنه من النادر أن تكون هناك استجابة مباشرة بين منطقة واحدة ووظيفة واحدة، فمعظم مناطق الدماغ تنشط في سياقات مختلفة كثيرة، غير أن هناك بعض الاستدلال، لتفسير نتائج التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي.

ورغم كل ذلك فإن التصوير العصبي عموماً لا يقل أهمية عن البحوث السلوكية التي تدعمه، لذا نجح باحثون ألمان في معرفة قرارات الإنسان بشكل مسبق، من خلال مراقبة نشاط الدماغ خلال نشاط العمل أو اليقظة. العلماء وجدوا أن النموذج العصبي الذي ينبئ بتصرف محدد للإنسان، يظهر قبل عشر ثوان تقريباً من صدور هذا التصرف.

كان السؤال الأكبر الذي واجههم هو ماذا يحدث للدماغ عندما يكون في حالة تفكير أثناء اليقظة أو العمل من خلال استخدام آخر التقنيات؟ وقد استطاعوا عبر أبحاثهم المكثفة معرفة أنشطة الخلايا العصبية، بل وقراءة بعض أفكار الإنسان دون اللجوء للشعوذة والسحر.

عن ذلك يقول البروفيسور "جون دايلان هاينيس" من مركز "بيرنشتاين لأبحاث المخ والأعصاب" خلال مؤتمر عُقد بهذا الخصوص في شتوتجارت جنوب ألمانيا: "عثرنا على نماذج خاصة لانطباع الأفكار في الدماغ، يجعلنا نعرف ما يفكر فيه الشخص المعني".

طرحت نتائج البحث الكثير من الأسئلة، سواء على



من قدرة المرء على ممارسة ضبط النفس إزاء مشكلة أخرى، مثل تفضيل الأطعمة الصحية على غير الصحية. المعنى الضمني هنا، هو أن ضبط النفس يشبه العضلة التي يمكن أن تتعب، ولقد كشفت كثير من الدراسات والتحليلات اللاحقة لها، عن وجود أدلة على نضوب الأنا، لكن تجربة واسعة النطاق التي قادها عالما النفس "مارتن هاجر" و"نيكوس شاتزيسارتس" فشلت في الحصول على النتيجة نفسها.

### بصمة الأفكار والعضلات الأخلاقية

تحظى محدوديات طرق تطبيق تقنية التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي للأعصاب بتغطيات متباينة، لكن التقنية لا تكشف إلا عن علاقات الارتباط، ما يعني أن نشاط منطقة ما من الدماغ عندما يشعر المرء بالخوف، لا يعني أن هذه المنطقة لها بالضرورة دور في الشعور بالخوف. ويمكن الكشف عن الحتمية السببية فقط عن طريق التلاعب بوظيفة منطقة معينة من الدماغ، إما من خلال تحفيز الدماغ، وإما من خلال دراسة حالات إصابة الدماغ بالعطب، مثلما يحدث نتيجة للجلطات الدماغية.

وتظهر كثير من الدراسات -على سبيل المثال- أن القشرة أمام الجبهية البطنية الإنسية -وهي ذات أهمية في اتخاذ القرارات المبنية على القيم- تنشط عندما يفكر المشاركون في التجارب حول مدى استعدادهم لدفع المال مقابل سلع استهلاكية. لكن دراسات حديثة وجدت أن بعض المصايين بعطب في هذه المنطقة، لا يبدوون أي قصور في مثل هذه القدرات.

hiragate.com



بناء على طلب القائمين على التجربة، ثم نشطت الخلايا العصبية بغزارة في مؤخرة الرأس عندما بدأوا يقصون حكايات مختلفة.

ربما تكون العضلات الأخلاقية هي قمة جبل الجليد؛ لأن التطورات العلمية تعزز قدرتنا على "قراءة الأفكار". والسؤال هو: بمجرد أن يوفر التصوير العصبي إمكانية التنبؤ الدقيق بالسلوك المستقبلي، هل سنشهد عندها واقعاً مريعاً كالذي جسده فيلم "ستيفن سبيلبرج" الذي أُنتج عام ٢٠٠٢ باسم "تقرير الأقلية" (Minority Re-)، الذي كان يُلقى القبض فيه على الناس بسبب جرائم لم يرتكبوها بعد؟ أم سنصبح قادرين على الموازنة بين حقوق الإنسان والقوة التي تمنحنا إياها التكنولوجيا؟ إن مثل هذه القضايا تقدم أرضية جيدة نطلق منها للتفكير في هذا العالم الجديد الشجاع والمميز. ■

\*) أستاذ جراحة التجميل المتفرغ والعميد الأسبق لكلية طب الإسكندرية / مصر.

#### المراجع

- (1) Russell Boldrak, Brain reading Nature (28/02/2020) English article.
- (2) Barbara J.Sahain and Julia Gothwald: Sex Lies and Brain Scans (M.S. Hagger and N.L. Chatzisarantis Perspect Psychol. 2019.
- (3) C.L. Harensiet al Abnorm Psychol 119, 2019.
- (4) S.M. McClure et Neuron 44, 2018.
- (5) A.R. Vaidya and I.k. Fellows Nature Commun. 9/2017.

المستوى الأخلاقي أو الجنائي أو الديني.. فقد اكتشف البروفيسور هاينيس -خلال إحدى التجارب- مركز اتخاذ القرارات في المخ وكيفية اتخاذها.

يقول هاينيس: "كان على المتطوعين المشاركين في التجربة، أن يقرروا ما إذا كانوا سيقومون بعملية الطرح الحسابي أو عملية الجمع دون إبداء ذلك للقائمين على التجربة، واستطعنا استقراء قرارهم بنسبة نجاح لا تقل عن ٧٠ بالمائة".

وأشار إلى أن العلماء قاموا خلال التجربة، بمد أجهزة الكمبيوتر بـ"بصمة الأفكار"، أي بحركة الخلايا العصبية وتفاعلاتها ونشاطها بشكل عام عندما يقوم الجسم بعملية الطرح أو بعملية الجمع، ثم مقارنة هذه "البصمة" أو الانطباع أو الصورة، بصورة أدمغة المتطوعين أثناء قيامهم بإحدى هاتين العمليتين.

كما وجد الباحثون أن التصوير أظهر النموذج العصبي الذي ينبنى بتصرف محدد للإنسان قبل عشر ثوان تقريباً من صدور هذا القرار، مما دفع البروفيسور هاينيس لإعادة طرح السؤال القديم الجديد: "هل الإنسان حر أم أن تصرفاته محددة من خلال أنشطة عصبية في الدماغ؟ ألا يستطيع الإنسان مخالفة طبيعته؟".

ويعمل البروفيسور "ماركوفيتش" أيضاً، في إعداد التقارير الصحية لبعض الجهات القضائية، كما أنه أثبت ما سماه "بصمة الكذب"، حيث وجد أثناء إحدى التجارب مع الطلاب، أن الخلايا العصبية نشطت بشدة في منطقة الجبهة عندما بدأوا يقصون حكايات حقيقية



## غرس القيم لدى الطفل في ديوان صغير يرى العالم

يُعدُّ ديوان "صغير يرى العالم" نصًّا شعريًّا متكاملًا، يشكل نسقًا معرفيًّا لبناء منظومة القيم لدى الطفل العربي، وامتاز شاعره "أحمد مصطفى النناوي" بإجادة هذه الكتابة الأدبية، ف جاء معجمه متناولاً ميسورًا دونما تقعرٍ، وجاء أسلوبه يسيرًا وجيزًا يسهل ترديده، خاليًا من الأخطاء اللغوية أو التعقيدات التركيبية، كما جاء شعره من جهة المضمون المعرفي تربويًّا تعليميًّا، ليغرس القيم والأخلاق والمثل في الطفل.. كذلك اهتم بتحقيق الوحدة الموضوعية في الديوان بأن تنظم القصيدة في موضوع واحد، والوحدة العضوية لتخرج القصيدة لُحمةً واحدة في تماسكها وانسجامها، حتى لا يتشتت ذهن الطفل في استيعاب الرسالة الموجهة إليه.

ي

### المعجم الشعري لأدب الطفل

وُفق الشاعر في اختيار عناوين قصائده، وجاءت ألفاظه موحية إلى حد كبير، لاندراجها تحت معجم أدب الطفل عامة، ومعجم الوطن والعالم خاصة، كقصائد "في حب مصر، و"العالم بيتك والأوطان"، و"طائرتي حول العالم" و"صغير يرى العالم".. وهو المعجم الأهم لدى الشاعر بدليل وقوع عنوان إحدى قصائده عنوانًا للديوان برمته، لأنه يربط الطفل بالعالم

وحت الشاعر الطفل على حب الكتاب من خلال الاهتمام بالقراءة في قصيدة "أنا والكتاب"، وحت الشاعر الطفل على العلم والزراعة والصناعة في قصيدة "تعلم تكلم".

### البعد التربوي التعليمي للشعر

يدخل هذا الديوان ضمن الشعر التربوي التعليمي، فقد حاول الشاعر غرس فضيلة الاعتزاز بالنفس لدى الطفل، وذلك بالإكثار من إيراد ضمير المتكلم (أنا)، خاصة في قصيدة "أنا إنسان" التي جعلها مفتتحاً لديوانه، فيقول في أبيات متفرقة منها: "أنا طفل، أنا إنسان، أنا قلب بكل مكان، أنا لا أقتل النملة، أنا طفل معي زهرة، أنا في كل ناحية، أنا من يبهر الدنيا برقته".

مع الحث على حفاظ الطفل على فطرته النقية السليمة، مما يجعل الشاعر يعمد إلى التكرار؛ تكرر لفظة "الفطرة" صراحة، فقبيل نهاية القصيدة يذكرها مرة واحدة في البيت "أحبُّ الحبَّ بالفطرة"، ليوطئ به لتكرارها في ثلاثة أبيات متتالية يجعلها مختتمًا للقصيدة، إذ يوقع لفظة "فطرة" خبرًا لمبتدأ هو "كلُّ" المفيد للاستغراق، ليدل التركيب الإضافي (كلُّ+المضاف إليه) على اتصاف المبتدأ بالخبر مع تحقق الشمول والعموم، قائلاً:

فكلُّ سعادي فطرة  
وكلُّ محبتي فطرة  
وكلُّ بلاغي فطرة.

والشاعر مهتم بتعريف الطفل بمفردات البيئة من حوله ودعوته إلى الحفاظ عليها، وتعريفه بالأخلاق والفضائل ودعوته إلى التحلي بها.. فمن أشعاره في الحفاظ على البيئة قوله:

أحبُّ حدائق البستان

أحبُّ الشمس والأقمار والمنديل والفتتان

أنا لا أقتل النملة

ولا أقسو على الحيوان

أنا طفلٌ معي زهرة

وأعشق واحة الخضرة

أنا في كلِّ ناحية أراني أزرع الشجرة

ومن أشعاره في الأخلاق المحمودة تجاه البيئة

المحيطة بالطفل قوله:

hiragate.com



الأكبر من حوله، ولعل في ذلك دعوة له نحو المشاركة والإيجابية.. كذلك معجم "القيم والأخلاق" ومنه قصائد "براءة" و"الحب" و"قلب طيب" و"أنا إنسان" و"عندي قطة".. ومعجم "الروابط الإنسانية" ومنه قصائد "الأم مثل الحب" و"عيد سعيد يا أبي" و"أبي وأخي" و"صديقي المدهش".. ومعجم "العلم والمعرفة" ومنه قصائد "تعلم تكلم" و"أنا والكتاب" و"رموز الحضارة" و"هيا نحكي قصصًا" و"سؤال".. وغني عن البيان أن بعض هذه العناوين يندرج تحت أكثر من محور معرفي أو معجم لفظي، فالفصل بينها ليس تعسفيًا.

### الوحدة الموضوعية

أفرد الشاعر لكل قصيدة موضوعًا واحدًا، لذلك نلمس وحدة موضوعية تدور القصيدة في فلكها؛ مثل دعوة الشاعر الطفل إلى الوطنية من خلال الاهتمام بالعلم في قصيدة "رموز الحضارة"، وتعريف الشاعر الطفل بالبلدان من خلال الاهتمام بالطيران في قصيدة "طائرتي حول العالم"،

يدخل ديوان "صغير يرى العالم" ضمن الشعر التربوي التعليمي، فقد حاول الشاعر غرس فضيلة الاعتزاز بالنفس لدى الطفل، وذلك بالإكثار من إيراد ضمير المتكلم (أنا)، خاصة في قصيدة "أنا إنسان".

حراه

أحياناً، والأب يجيب بشكل واع تفكيراً، ميسر تعبيراً، ليستوعب الطفل الجواب عما يجهل، والشاعر ينظم بأسلوب راق ليس فيه تفاوت بين السؤال والجواب، بالرغم من أن الجهة مُنْفَكَّة؛ ف"السؤال، عالم الصغار = الطفل" و"الجواب، عالم الكبار = الأب".

ولعل من الملاحظ تأثر الشاعر بأسلوب "كليمة ودمنة"، الذي يقيم حواراً على لسان الحيوان والطيء، ويضفي مؤدى هذا الحوار أو مغزاه على عالم الإنسان؛ أبعاداً معظمها سياسية واجتماعية. وأرى أن الشاعر يمتلك القدرة على كتابة المسرح الشعري للطفل إن وجّه موهبته إلى ذلك؛ لأنه يتمتع بموهبة بناء الحوار الشعري المتقن. وما دام الحوار الشعري قد انعقد بين طفل سائل لأجل أن يتعلم، وأب مجيب، فلم يخل الحوار من تلطف في مقام التربية، كقوله في مواضع متفرقة من القصيدة: "يا بُني.. في الحديقة يا صغيري.. كل شيء يا صغيري.. صغيري كلنا نلحم.. قلب مثل قلبك يا جميل.. رعاك الله يا ولدي.. تعال أيها الولد الحبيب".

### الأبعاد المتعددة للحوار الشعري للطفل

في هذا الديوان يتجلى الحوار الشعري بأبعاد دينية إنسانية، ونفسية اجتماعية في إطار فلسفي يسير، من خلال مشاهد متنوعة، مثل:

التعايش بين الحيوانات، سبيلاً للتعايش بين البشر ودرء الخلاف جانباً، في قوله:

سوف نذهب للحديقة سوف تجد المستحيل

في الحديقة يا صغيري يلتقي أسد وفيل

وتشبيه الطفل بالزرع، في نموه واستوائه ونضجه

وتعدي خيره إلى مجتمعه، في قوله:

في الحديقة تلقى أطفالاً سيسقون النخيل

أنا قلب بكل مكان  
يحبُّ توحد العالم ويحفظ حرمة الأديان  
أحبُّ الله في نفسي وكلِّ عجائب القدرة  
وأعرف قيمة الأوطان  
مثل "محمد الدرّة"

وأكره آلة التدمير والصاروخ والذرّة

أنا من يبهز الدنيا برقته

يشاهد في براءته

ويعشق فوق رغبته

ولا أحد يخاصمني على فكرة

كما أني بحبي ثاقب النظرة

فلم ينس الشاعر تقديم القدوة للطفل من جنس الأطفال أنفسهم، كالطفل الفلسطيني محمد الدرّة رمز التضحية والفداء الذي قُتل بدم بارد وهو في حضن أبيه الكسير وفي رحاب وطنه الأسير، فأبكى مشهد استشهاده العيون وأدمى القلوب.

والشاعر حين يحثُّ الطفل على التحلي بالقيم النبيلة، يعمد إلى التقديم والتأخير، أو مغايرة نسق الترتيب، فيقدم "العمل" على "القول"، قائلاً:

ويعشق فوق رغبته

ولي عملي ولي قولي

وكل الناس من حولي

إنه مغاير العرف العام في الاستخدام اللغوي الذي يتقدم القول فيه على الفعل، لأن الشاعر يحثُّ الطفل على قيمة العمل وعدم التراخي، فقدّم في الذكر ما هو بشأنه أعى.

### تشكيل حوار تعليمي

برع الشاعر في إيجاد حوار تعليمي بين الأب والطفل في قصيدة "براءة"، وذلك بأن يطرح الطفل على أبيه الأسئلة الحقيقية المباشرة غالباً أو المجازية العميقة



في الحديقة عالمٌ سحريٌّ

قلْبٌ مثل قلبك يا جميلُ

وحبُّ الحياة ثمرة الانخراط في عالمي النبات  
والحيوان، في قوله:

في الحديقة كلُّ شيء فيه حبٌّ للحياة

يلعب الأطفال والغزلان في كل اتجاه

والتذكير بالخالق من خلال مشاهدات الخلق، في  
قوله:

صغيري كلُّنا نحلّم وتلك حقيقة الأيام

أليس الله خالقنا وخالق هذه الأحلام؟!

وهذا الكون خلق الله، هل في خلقه إبهام؟!

**ثمرة الحوار الشعري في التدئين السمح بين البشر**

خلاصة هذا الحوار على لسان الأب والمربي المعلم،  
تضرب بسهم وافر في تناصّ الشاعر مع القرآن الكريم،  
الذي أرسى مبدأ الأخوة الإنسانية الجامعة، في قوله  
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى  
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ  
أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

فبعد هذا الحوار الشعري، يدلف الشاعر إلى دعوة  
الطفل إلى التدئين الحقيقي، الذي مؤداه أن الناس جميعًا  
أممًا وشعوبًا وأعرافًا وقبائل من أصل واحد، وأن  
التسامح فيما بينهم أهم روابطهم الإنسانية، في قوله  
حكاية عن المعلم:

قد سمعتُ من المعلمِ يا أبي شيئًا غريبَ

قال لي: إن التدئين في القلوب

ليس في الدِّين التعصب والعيوب

هل صحيحٌ يا أبي أننا نحيا شعوبًا؟!

ولأن هذا القول في الدِّين منسوب إلى المعلم،  
فيثني الشاعر بقول آخر على لسان الأب؛ ليؤكد معًا  
قيمة التسامح الإنساني، وليكون الحوار دلالة على أن  
منظومة القيم ببعديها التربوي والتعليمي، يشكلها لدى  
الطفل كلٌّ من أبيه ومعلمه، في قوله:

تذكّر أن خير الدِّين ما يجد البعيد قريبَ

تذكّر أننا في الأرض مثل أصابع في اليد بالترتيب

تأكد أن نهر الحب ليس قليلَ

وعلم قلبك التوحيد والترتيل

تعال ندرس القرآن والتوراة والإنجيل

لأنك عاقلٌ وليب

تعال أيها الولد الحبيب

ويختتم الشاعر بالعبارة التنبهية ذاتها التي استهل  
بها فكرته وهي: "تعال أيها الولد الحبيب"، فيما يُعدّ  
ردًا للأعجاز على الصدور، ولأن التدئين السمح يُعدّ  
أهم الأفكار التي ناقشها الشاعر، بل أهم القيم التي  
تنادى بها.. فقد ذكره كمختتم لهذه القصيدة الحوارية،  
فيما يُعدّ حسن خاتمة؛ ليكون الثمرة المرجوة من هذا  
التطواف الكبير في الكون من خلال الحوار الأخاذ بين  
الأب والطفل. ■

\*) كلية الآداب، جامعة بني سويف / مصر.





## السَّعُوط

### في السنَّة والطب الحديث

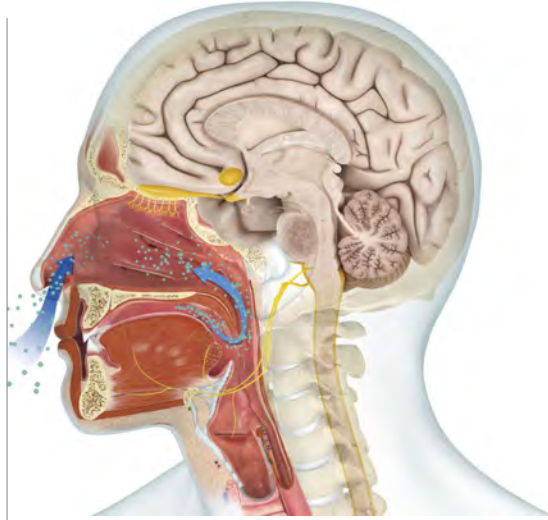
عرف الإنسان المداواة منذ العصور القديمة، وكانت أوائل الأدوية عبارة عن مواد طبيعية متواجدة في محيطه القريب، منها النباتية والحيوانية والمعدنية. ولا تزال بعض المجتمعات البسيطة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، تستعمل أدوية وعقاقير خاصة بها تتوارثها جيلاً بعد جيل بالخبرة والتجربة؛ فمثلاً استُخلصت علاجات قوية المفعول بعد غليها أو نقعها في الماء وشربها، لعلاج أمراض خطيرة -كالمalaria- من لحاء شجرة السنكونا (Cinchona sp)، الذي يحوي مادة الكينين التي ما زالت تستعمل إلى اليوم. واستُعمل لحاء شجرة الصفصاف الأبيض (Salix alba) لخفض درجة حرارة الجسم، والذي يحوي حمض الساليسيليك الذي اشتق منه دواء الأسبرين. كما استُخدمت الضمادات والكمادات واللِّبَخَات والتبخيرات والمرامح والزيوت والحقن الشرجية.. لعلاج الآلام والجروح والكسور ولسعات الحشرات

ع

وهكذا واصل الأطباء المسلمون والعرب نهج القرآن والسنة، وأضافوا إلى مكتسباتهم العلاجية علوم شعوب أخرى كالصين والهند واليونان. وازدهرت الكيمياء والطب، واستقل علم الصيدلة عن الطب وتجارة العقاقير مع مرور الوقت، وصارت كتبهم تُدرّس في أوروبا لقرون. ومع تطور العلوم والتقنية، تطور الطب والدواء وكذا تطورت طرق العلاج، فظهر الطب التجريبي أو علم الأدوية بمفهومه الجديد، انطلاقاً من منتصف القرن التاسع عشر ميلادي، وأضافت الكيمياء لمسة جديدة على الدواء الذي أصبح يُصنَعُ أغلبه في المعامل (Chemi-cal Synthesis)، فازدهرت تجارة الدواء وتسويقه وظهرت مصانع ومخابر كثيرة عبر العالم، تتنافس على جلب انتباه المريض بطرق مختلفة، منها تغيير الشكل أو اللون أو الذوق أو زيادة الفعالية العلاجية.

### طرق تناول الدواء ومساراته

حتى يكون الدواء فعالاً، وجب أن يتميز بشكل وهيئة (Dos-age Form) يمكن للجسم امتصاصه جيداً ويتقبله المريض، ويجب أن يعطى بطريقة مُعَيَّنَة (Route of Administration) ليصل بأقوى تركيز ممكن إلى الموضع الذي يؤثر فيه أي الهدف (Target)، دون أن يحدث آثاراً جانبية كبيرة، وهذا كله يختلف باختلاف الدواء والداء وحالة المريض وعمره. ويمكن لهذه العوامل وغيرها أن تؤثر في التوافر الحيوي للدواء، أي تركيزه في الدم (Bioavailability) والتي تحدد بداية فاعلية الدواء ومدته. وأهم هذه العوامل تأثيراً، هي طرق ومسارات تناول الدواء وهي عديدة، منها طريق الفم، والأنف، والرئة، والأذن، والعين، والحقن عبر الوريد أو العضل، وتحت الجلد، ولصاقات موضعية، ومراهم جلدية، وغير ذلك.. ولكل منها مزايا ومساوئ. وعموماً تُستعمل الأدوية بطريقتين رئيسيتين حتى يصل الدواء إلى كافة أنحاء الجسم عبر الجهاز الدوري الدموي، وهو ما يعرف بالامتصاص العام أو المجموعي (Systemic Absorption): إما الطريق الخلالي أي الحقن عبر الجلد عن طريق الحقن (Parenteral)، أو الطريق المعوي الهضمي (Enteral) مباشرة في نقطة ما من الجهاز الهضمي، وبنسبة أقل، تُعتمد الطرق الرئوية



ولدغات الأفاعي والإمساك وأمراض أخرى. واستطاع بعض الأطباء تحضير وصفات طبية لعقاقير مختلفة مفردة ومركبة، وبمقادير مضبوطة تناسب كل حالة مَرَضِيَّة. غير أن بعض البشر استبدلوا العلاج الحقيقي بالسحر والشعوذة والتمائم، واختلط الطب بالشعوذة فضاعت العلوم الطبية.

ومع ظهور الإسلام اختفت أغلب مظاهر العلاج بالسحر والشعوذة؛ لأن في القرآن الكريم والسنة النبوية المبادئ الصحيحة للعلاج والشفاء الروحي والجسدي، باستعمال آيات القرآن والأدعية النبوية والأدوية المعروفة آنذاك. وقد ذكر في القرآن الكريم بعض الأشفية، حيث قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢). واستعمل الرسول ﷺ الدواء وأمر بالتداوي، وبين طرق العلاج وحتى الشفاء؛ ففي مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن علاقة عن أسامة ابن شريك، قال: كنتُ عند النبي ﷺ وجاءت الأعرابُ، فقالوا: يا رسول الله أنتدأوى؟ فقال: "نعم يا عبادة الله تداؤوا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داء واحد"، قالوا: ما هو؟ قال: "الهرم". وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: "لكل داءٍ دواءٌ، فإذا أصيب دواءُ الداءِ، برأ بإذن الله عز وجل".



بالرغم من التقدم في علم الأدوية والصيدلة الحيوية، إلا أن طريق الأنف أو السعوط في الطب النبوي، يبقى طريقاً واعداً ومشجعاً لاستعمال الأدوية، وخاصة لعلاج بعض أمراض الدماغ والجهاز العصبي المركزي في العصر الحالي.

حراء

خاصة في التغلب على مشكل التمثيل الغذائي (الأيض) العالي للمرور الأول، وإمكانية تفكك الدواء في الجهاز الهضمي المرتبط بالإعطاء عن طريق الفم. ومؤخراً كان التركيز على طريق الأنف لتوصيل الأدوية بشكل مجموعي لعدد أكبر من الأدوية. ويفضل استعمال الطريق الأنفي للأدوية غير الفعالة، عن طريق الفم، والتي تستخدم بشكل مزمن، وتتطلب جرعات صغيرة، وأن يكون الدخول السريع في الدورة الدموية أمراً مرغوباً. يتأثر معدل انتشار الأدوية من خلال الأغشية المخاطية للأنف بالخصائص الفيزيائية والكيميائية للدواء. ومع ذلك، فإن امتصاص الأنف للمركبات الكيميائية ذات الوزن الجزيئي الأقل من ٣٠٠، لا يتأثر بشكل كبير بالخصائص الفيزيائية والكيميائية للدواء.

يمكن أيضاً توظيف هذا الطريق لتوصيل الدواء مباشرة إلى الدماغ والجهاز العصبي المركزي، لأن توصيل الأدوية عبر الحاجز الدموي الدماغي (Blood Brain Barrier) يطرح العديد من التحديات والمشاكل. ويُعتقد عموماً أن الأدوية تنتقل من تجويف الأنف إلى السائل الدماغي النخاعي (الشوكي) عبر النسيج الشمي، وبالتالي تتجاوز الحاجز الدموي الدماغي. فالعصب الشمي هو الهدف عندما يكون الامتصاص المباشر في الدماغ هو المقصود؛ لأن هذا هو المكان الوحيد في جسم الإنسان، حيث يتم التعبير عن الجهاز العصبي المركزي مباشرة على سطح الغشاء المخاطي للأنف. ومن الأمثلة على أدوية تتناول عبر هذا الطريق؛ مضادات الاكتئاب (Antidepressants) ومسكنات الألم، كما أن هناك تجارب لعلاج الزهايمر وأخرى على الحيوان لعلاج الباركنسون باستعمال دواء "L-dopa".

(التنفسية) والأنف. أما الطرق الأخرى، مثل العيون والجلد، فتطبيقها يكاد يكون حصرياً للأدوية الموضعية، ويعتبر طريق الفم هو الأكثر شيوعاً، أما الحقن فيخصص للحالات الخطيرة والمستعجلة، وفي المستشفيات أو أدوية خاصة مثل الأنسولين (ببتيدات).

وقد ذُكرت بعض الطرق لتناول الدواء في السنة النبوية كطريق الأنف والفم والجلد. روى الترمذي وغيره من حديث ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: "إن خير ما تداوئتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى". ف"السعوط" هو ما يُصبُّ في الأنف، بواسطة أداة (وعاء) تعرف بالمُسْعَط. واللدود بالفتح هو الدواء الذي يُلدَّب به، أي ما يُسقى الإنسان به في أحد شقي الفم، والمعنى أُخذ من لِدَيْدِي الوادي، وهما جانباه. وأما "الوَجُور" فهو في وسط الفم. و"الحجامة" من الحَجَم وهو المص، وهو استخراج الدم من نواحي الجلد. أما "المَشِي" فهو الذي يُمشي الطبع وَيَلْتِنُه وَيُسَهِّلُ خُرُوجَ الخارج. وهذه أفضل طرق التداوي وتناول الدواء في السنة النبوية. كما جاء استعمال زيت الزيتون عن طريق الفم والجلد، حيث روى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة ؓ، قال ﷺ: "كلوا الزيت وادهنوا به، فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام".

### السعوط في الطب الحديث

إن توصيل الأدوية عن طريق الأنف تقليد قديم ولا يزال يستعمل إلى يومنا الحالي، وهو تناول الأدوية على أشكال مختلفة؛ قطرات، رذاذ، مرهم، محلول لغسيل الأنف، مسحوق، كريم. وقد يكون تأثير الأدوية موضعياً أو عاماً (جهازياً). يشمل العلاج الموضعي احتقان الأنف والتهابه، والتهاب الجيوب الأنفية، والحساسية، والحالات المزمنة الأخرى، بواسطة أدوية مختلفة كالكورتيكوستيرويدات، ومضادات الهيستامين، ومضادات الكولين، ومضيق الأوعية. أما التأثير العام فهو محدود لمجموعة من الأدوية فقط، وأدوية أخرى لا تزال تخضع للتجارب السريرية، وأمثلة ذلك الأنسولين، ومضادات الالتهاب الستيرويدية، والأوكسيتوسين (هرمون ببتيدي)، ولقاح الأنفلونزا.

يعتبر مسار الأنف هدفاً واعداً لتناول دواء ما،

من مميزات التجويف الأنفي، أنه مغطى بغشاء مخاطي رقيق غني بالأوعية الدموية، لذلك يمكن أن ينتقل جزيء الدواء بسرعة من خلال طبقة الخلايا الطلائية المفردة (Epithelium) مباشرة إلى مجرى الدم، دون الخضوع لتأثير المرور الكبدي الأول والاستقلاب المعوي، كذلك النفاذية العالية في الغشاء المخاطي للأنف، مقارنة بالبشرة أو الغشاء المعدني والمعوي، سرعة الامتصاص، عادة خلال نصف ساعة. تجنب تأثير المرور الأول الذي يحدث بعد امتصاص الأدوية من الجهاز الهضمي. تجنب آثار ركود المعدة والقيء، -على سبيل المثال- في مرضى الصداع النصفي. سهولة تناول من قبل المرضى الذين عادة ما يكونون على دراية بقطرات وبخاخات الأنف. التوافر البيولوجي (Bioavailability) للأدوية أعلى منه في حالة المسار المعدني المعوي أو الطريق الرئوي، وهو أنسب طريق لتناول الأدوية الببتيدية.

أما مساوئ هذا الطريق وهي قليلة مقارنة بالمميزات: إمكانية حدوث التهابات للجهاز التنفسي العلوي أو تهيج للغشاء المخاطي للأنف. أمراض الأنف قد تؤدي إلى ضعف الامتصاص. الجرعة محدودة بسبب المساحة الصغيرة نسبياً المتاحة للامتصاص. الوقت المتاح للامتصاص محدود. لا يُعرف سوى القليل عن تأثير نزلات البرد على توصيل الأدوية عبر الأنف، ومن المحتمل أن يؤدي وجود فائض من سيلان الأنف المائي إلى طرد الدواء من الأنف. وتقول بعض الدراسات أن المسار الأنفي لا ينطبق على جميع الأدوية، فامتصاص الأدوية القطبية وبعض الجزيئات الكبيرة غير كافٍ بسبب ضعف نفاذية الأغشية، والتدهور الأنزيمي في تجويف الأنف.

### السعوط في الطب النبوي

ذكر أبو داود في سننه أن النبي ﷺ استعط، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط، وفي السنن والمسند عنه من حديث جابر بن عبد الله قال: كانت أم المؤمنين عائشة امرأة معها صبي يقطر منخراه دماً، فدخل رسول الله ﷺ فقال: "ما شأن هذا الصبي؟" قالت: به العذرة، قال: "ويحك يا معشر النساء لا تقتلن أولادكن، وأي امرأة كان بصيبيها

عذرة أو وجع برأسه، فلتأخذ قسطاً هنيئاً فلتحكه ثم لتسعطه"، ثم أمر عائشة ففعلت ذلك بالصبي فبرأ. (رواه أبو يعلى). وروى البخاري ومسلم عن أم قيس بنت محسن، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: "عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية: يُستعطُ به من العذرة، ويُلدُّ به من ذات الجنب". والعذرة التهابات الحلق كانت تعالج بغمز الحلق بالأصابع أو بالخرقة ونحوها، فيقطعونها بها الموضع فيفتجر منه دم أسود، وربما سبب قرحة، فنهاهم النبي ﷺ عن هذا الفعل الخطأ، وأرشدهم إلى العلاج الصحيح. فهذه الطريقة النبوية علاج لأمراض التهابات الحلق أو البلعوم أو اللهاة أو اللوزات، وكذا علاج وجع الرأس بتناول الدواء عبر الأنف. وهذا سبق للطب النبوي في استعمال طريق الأنف لتوصيل الدواء إلى الدماغ وشفائه من الألم. كما أشار ﷺ إلى العلاج بماء القسط، الذي يحتوي على مركبات تذوب في الماء (Hydrosoluble)، وفي الواقع أغلب الأدوية التي تُعطى عن طريق الأنف، ذات طابع مميز. كما أن توجيهات الرسول ﷺ تحث على الرفق بالمرضى وألا يُعذَّب، خاصة إن كان صغيراً، لوجود طرق بديلة غير مؤذية أو مؤلمة.

### خاتمة

بالرغم من التقدم في علم الأدوية والصيدلة الحيوية (Biopharmaceutics) الذي أدى إلى تطورات مثيرة في الطرق التي يمكن بها تناول الأدوية، إلا أن طريق الأنف، أو السعوط في الطب النبوي، يبقى طريقاً واعداً ومشجعاً (Promising Method) لاستعمال الأدوية، وخاصة لعلاج بعض أمراض الدماغ والجهاز العصبي المركزي في العصر الحالي، وقد سبق الرسول ﷺ الإشارة إليه قبل ١٤٤٢ عاماً، فهو ﷺ وحي يوحى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٢-٤). كما أن الرسول ﷺ ينهى عن استخدام طرق قاسية للعلاج، فالمؤمن هين لين، ويدعو ﷺ إلى الرأفة والرحمة في التطبيب وفي كل شيء. ■

\*) أستاذة الكيمياء الصيدلانية، معهد الكيمياء، كلية العلوم، جامعة مسيلة / الجزائر.

## أنسنة الحاسب الكبسولة

ستحمل الأيام القادمة مفاجأة أنسنة الحاسب، حيث نجلس إلى الحاسب ونتعامل معه ذهنيًا فقط على أساس أن جميع الأحاسيس والأفكار الشائعة التي تشكل ذاكرتنا البشرية، ونتعامل بها في حياتنا اليومية، مزروعة بداخله. فهل سيمنح تصنيع حاسب من المادة الحية بدلاً من الصلبة التي نتعامل معها اليوم؟ هل يمكن أنسنة الحاسب بالمزج بين مكتشفات الهندسة الوراثية، والتكنولوجيا النانومترية، ثم هل سيمنح حوسبة الأحاسيس وربط المخ البشري والحاسب بشكل عضوي؟

س



لاعتماده على فكرة خيالية جديدة وإن كانت مجنونة تماماً، غير أن إمكانية تحقيقها بات أمراً ليس مستحيلاً كما ثبت مؤخراً.

إن تطوير مثل هذا النوع من أجهزة النانوتكنولوجي المتناهية الصغر، من خلال الحاسب الكبسولة المبحر داخل الجسم البشري، سيمكّن العلماء من علاج بعض الأمراض عن طريق التعامل مع الخلايا المريضة، دون أن يكون للأدوية المستخدمة آثار جانبية على باقي خلايا جسم الإنسان، كما هو الحال بالنسبة للخلايا السرطانية التي يؤدي التعامل معها كيميائياً إلى إصابة الخلايا الأخرى بأعراض جانبية سيئة، كما سيمكّن الكبسولات من توصيل الدواء إلى الخلايا مباشرة دون مروره على باقي أجهزة الجسم، وما إلى غير ذلك من الاستخدامات الطبية المفيدة.

على أية حال، فإن تكنولوجيا المستقبل ستقوم على أساس مثل هذه الأجهزة ذات الحجم المتناهي الصغر، الذي أطلق عليه الغرب "التكنولوجيا النانومترية" أو "نانوتكنولوجي". وقد بدأ الرهان على هذه النوعية من الاستثمارات، حيث تتسابق الدول الكبرى على احتلال مقعد الريادة في هذا المجال.

### ذاكرة مشتركة

لعل من بين خيالات عقلاء العلماء أو العلم الخيالي، والتطورات التقنية و المعلوماتية المتدفقة بلا انقطاع، ما أذيع مؤخراً في الأوساط العلمية عن نتائج تجربتين تحاولان إيجاد إطار مشترك يربط العقل أو المخ البشري بالحاسب مباشرة؛ بشكل عضوي أو ذهني أو حسي وشعوري.. ففي التجربة الأولى قام العلماء بإنشاء خط اتصال سلبي مباشر بين المخ والحاسب، بما قد يؤدي مستقبلاً إلى أن يجلس الإنسان إلى الحاسب، ويفكر في كتابة رسالة بالبريد الإلكتروني لصديقه فتنتقل الحروف ذهنياً وبشكل تلقائي -دون معاناة اليد أو تحريكها- من المخ إلى الحاسب مباشرة، وتتم كتابتها على الشاشة مباشرة. أما التجربة الثانية فهي تحاول ترجمة الأحاسيس والأفكار الشائعة التي تشكل الذاكرة المشتركة بين الناس إلكترونياً، ووضعها في شكل منطقي يمكن للحاسب

قد يكون استخدام النانوتكنولوجي في بناء واحد من أكثر المختبرات الطبية تقدماً هو في حد ذاته خبراً عادياً، لكن الغريب هو "مصير هذا المختبر"، فمن المرجح أن يقوم أحد العلماء في مجالات علم وظائف الأعضاء أو الكيمياء الحيوية وغيرها، بابتلاعه كما لو كان يتلع كسرة خبز أو قطعة حلوى.. وفي نفس الوقت توصلت الأبحاث إلى تصنيع كاميرا لوضعها في الحاسب الكبسولة، لتعمل بالتعاون مع الأجهزة الأخرى. إذن، الحاسب الكبسولة من خلال رحلته داخل أجهزة الجسم، سيتمكن من الكشف عن عديد من الأمراض الموجودة بالفعل، أو تلك التي تستعد لمهاجمة الإنسان.

إن الإعلان عن بناء مثل هذا النوع من المختبرات، قد تناوله من قبل فيلم عُرف باسم "رحلة خيالية" عن قصة مأخوذة من الكاتب "إسحاق اسيموف" تتحدث عن مجموعة من الجراحين تم تصغيرهم وحفظهم داخل جسم إنسان يحضر، لإجراء جراحة دقيقة لإزالة تجمع دموي في المخ، وهو الفيلم الذي نال إعجاب الجماهير

**إن ما تحقق حتى الآن في عملية حوسبة  
الأحاسيس الشائعة، شمل فهرسة وتشفير  
ثلاثة ملايين قاعدة أو حقيقة من تلك الأشياء  
التي يعلمها الشخص العادي حول العالم.**

حذاء

لتحديد وتوصيف هذه الخلايا المسؤولة عن وظائف  
الحركة في مخ ثلاثة قردة، وبعد النجاح في تحديدها  
قام الباحثون بعمل فتحات محسوبة في جماجم القردة  
الثلاثة، ثم ثبتوا ١٠٠ قطب كهربى في جزء من المخ  
الموجود به الخلايا المسؤولة عن السيطرة على الكيفية  
التي تتحرك بها الأذرع، ثم قاموا بتوصيل هذه الأقطاب  
الكهربية بأسلاك، ومرروها عبر الفتحات التي صنعوها  
بالجمجمة، ثم قاموا بتوصيل تلك الأسلاك بالحاسب.

#### الميموم البشري

كان الباحثون قبل ذلك قد درّبوا القردة على ممارسة  
لعبة الكرة والدبابيس، حتى تكون جاهزة عند بدء  
التجربة التي استهدفت إنشاء علاقة مباشرة بين عقل  
القرود والحاسب في التجربة؛ فلاحظ العلماء أنه حينما  
يلعب القرود مباراة الكرة والدبابيس على الحاسب،  
تولّد بعض الخلايا العصبية الإشارات الكهربائية ذات  
المواصفات الخاصة، وعلى الفور تم تسجيلها، أو  
بتعبير أدق الاستماع إليها، من خلال النبضات التي  
تطلق بالقرب من الأقطاب الكهربائية.

وقام الفريق بكتابة برنامج على الحاسب يترجم هذه  
الإشارات إلى أوامر يتلقاها الحاسب، وفي تلك التجربة  
وجدوا أن المسار البديل الذي تم إنشاؤه بالأسلاك بين  
مخ القرود وجهاز الحاسب، جعل من الممكن أن تتم  
الحركة المطلوبة دون أن تستعين القردة بأذرعها.

لقد كشفت تلك التجربة -كما أوضح الباحثون-  
أن مخ القرود أظهر طاعة وقبولاً فائقين في تغيير نفسه  
من أجل القيام بوظائف جديدة، وقال الدكتور "ويليام  
هيتديركس" مدير برنامج البحوث العصبية في المعهد  
القومي الأمريكي للأمراض العصبية -وهي إحدى  
الجهات التي تمول أبحاث جامعة براون- إنه توقع أن

فهمة، والهدف هو زرع هذه الذاكرة في الحاسب لتحقيق  
نوعاً من المعرفة المسبقة بين الحاسب والبشر تقوم على  
الذاكرة المشتركة بين الاثنين، فتضفي مزيداً من السهولة  
والألفة في استخدام التطبيقات والبرامج المثبتة على  
الحاسب، وتجعلها تقدم خدماتها لمستخدم الحاسب  
بشكل أكثر ذكاء وسرعة وسهولة وفهماً.

التجربة الأولى جرت على مجموعة من القردة في  
جامعة براون، وأعلن نتائجها الأولية "د. دونجو" أستاذ  
العلوم العصبية بالجامعة، في مجلة "نيتشر" العلمية.  
وفي معرض شرحه للتجربة، قال إن القردة في المعامل  
تجلس الآن أمام الحاسب وتلعب لعبة الكرة والدبابيس  
على شاشته، وهي لعبة تندرج فيها الكرة من أعلى إلى  
أسفل، ويتحول فيها أحد المربعات إلى اللون الأحمر  
مع قفزات الكرة، وتمارس القردة تلك اللعبة ذهنياً من  
خلال اتصال مباشر بين الحاسب ومخ القرود دون أن  
يحرك شيئاً أو يلمس الفأرة. وقد أظهرت القردة دقة  
وسرعة في تحريك الفأرة كما لو كانت تحركها بكف  
اليد، فكيف حدث ذلك؟

طبّقاً لما شرحه رئيس الفريق، جرى الاستناد  
في تصميم هذه المحاولة إلى قاعدة علمية يعرفها  
جميع الباحثين، وهي أن الناس يفكرون في المكان  
الذي يريدون أن يضعوا فيه أيديهم قبل أن يحركوها؛  
فهناك جزء من خلايا المخ العصبية تقوم بهذه الوظيفة  
بسرعة فائقة قبل بدء تحريك اليدين، وحينما تمارس  
هذه الخلايا وظيفتها فإنها تصدر نبضات كهربية ذات  
خصائص معينة، هذه النبضات ترسم وتحدد في النهاية  
حركة اليد واتجاهاتها والأماكن التي ستتوجه إليها.  
ولذلك فكر الفريق في أنه إذا تم تحديد هذه الخلايا بدقة  
وتم رصد أو استراق السمع إلى ما تصدره من نبضات،  
أو إشارات كهربية في لحظة اتخاذ العقل قراره بتحريك  
اليد في اتجاه أو شكل ما، ثم نقل هذه الإشارات عبر  
"كابل" يتم توصيله بالحاسب لتقوم برامج متخصصة  
بترجمتها إلى الحركات التي كان يقصدها المخ، فربما  
أمكن نقل أوامر المخ إلى الحاسب ذهنياً، وليس عبر  
حركة اليد أو النقر على لوحة المفاتيح.

لاختبار هذه الفرضية، قام الفريق بعمل أبحاث مكثفة



## الأوهام العشرة للعلم الحديث

لقد نجح العلم وتكاثرت منجزاته، حيث وفّر حياة رغيدة، وعمائر شاهقة، وحواسيب ذكية، وهواتف نقالة، وطائرات نفائثة، وخدمات صحية، ومنظومات تعليمية وعولمية هائلة الخ.. كل هذا - وغيره- أعطى الانطباع بأنه لا يمكن وجود خطأ في نسقه وطرائقه التجريبية. لكن تبين لعلماء تحوّل كثير من مسائله إلى عقائد حتمية لا تقبل النقاش. وتشابهت المؤسسات العلمية مع كهنوت العصور الوسطى الأوربية التي عاقبت كل من يخالف عقيدتها العلمية. وسرى اعتقاد "نحن نؤمن بالعلم فقط"، مما جعله نظاماً أيديولوجياً يتم التبشير به، ويرجم كل من ينتقد منظومته، رغم أن نسقه قائم على النقد والبحث والتجريب والاستدلال.





## الأوهام العشرة للعلم الحديث

في جامعة كامبريدج (١٩٦٧-١٩٧٣)، تخصص الدكتور "روبرت شيلدريك" (Rupert Sheldrake) (١٩٤٢) في مجال الكيمياء الحيوية وبيولوجيا الخلايا، وعمل باحثاً رئيساً في فسيولوجيا النبات في "المعهد الدولي لبحوث المحاصيل في المناطق المدارية شبه القاحلة" حتى عام ١٩٧٨. ومن أشهر كتبه في الولايات المتحدة "تحرير العلم: عشرة طرق لاكتشافات جديدة" (٢٠١٥)، وفي طبعته البريطانية (٢٠١٢) نشر بعنوان "وهم العلم" (The Science Delusion)، ليكون رداً على كتاب الفيزيائي "ريتشارد دوكنز" (Richard Dawkins) "وهم الإله" (The God Delusion). وعرض الدكتور "شيلدريك" عشر "عقائد"، ثم أثبت أنها ليست مؤكدة أو صلبة، بل هي "أوهام" بحتة.

## الوهم الأول: كل شيء يسير آلياً ميكانيكياً

فالتبيعة ميكانيكية، والكون بما فيه هو كالألات، وما البشر إلا روبوتات (خرقاء مزعجة، بأمخاخ كحواسيب مبرمجة جينياً) كما وصفهم "ريتشارد دوكنز". لكن -في الواقع- الكائنات الحية لها قوى تنظيمية ذاتية، وغايات

وأهداف خاصة عكس الآلات المصنعة (المبرمجة). فركوبك سيارة ستأخذك -بانضباطها- حيث تريد بدقة، بيد أن ركوبك حصاناً ربما لا يفعل ذلك، فله أهدافه الذاتية وهو ليس آله ميكانيكية.

## الوهم الثاني: المادة لا وعي لها

الكون تَخَلَّق من مادة "أزلية غير واعية، وليس لها حياة داخلية ولا غاية". فلا شيء غير المادة (Matter) والفلسفة المادية "الأحادية" (غير المطلقة، والانخلاع منها هو بعث للعلوم من جديد). بينما "الفلسفة الثنائية" لازمة لتفسير ظواهر الوجود والكون، وغلق الباب أمام البحث فيما وراء المادة، هو "انغلاق علمي وفكري".

## الوهم الثالث: قوانين الطبيعة والقياسات العلمية

قوانين الطبيعة والقياسات العلمية: الجاذبية، وسرعة الضوء، وسرعة الصوت.. إلخ، قياسات ثابتة. لقرون، قبلت نظريات "نيوتن" على أنها الحقيقة، ثم ظهرت النظرية النسبية لـ"آينشتين" لتوضح أن التجريب بأجهزة قياس أدق، أثبت أن نظريات "نيوتن" لا تنطبق -بإطلاق- على كل الحالات. ثم فشلت النظرية النسبية في تفسير



إن لغز الذاكرة ليس بالبساطة التي يتصورها الإنسان، وبالمقاييس العلمية، لا يوجد دليل مادي قاطع على أن المخ هو مركز تخزين الذاكرة، ولا يوجد دليل دامغ على مكان اختزانها.

حذاء

المستمرة، مع تواجد مادة أكبر تبطئ هذا التوسع، مما سيؤدي لتوقفه ليحدث الانكماش، وينتهي العالم ممزقاً نظرية الانكماش العظيم.

لكن لوحظ عام ١٩٩٨ أن المجرات لا تتباطأ، وأن التوسع الكوني يتسارع. إذن، لا بد من وجود نوع جديد من الطاقة الكونية تدفع الأشياء بعيداً، إنها "الطاقة السوداء". فقط قم بإضافة القيمة المناسبة منها لجعل المعادلات متوازنة ولتحل المشكلات، لكن تبين أنها تزيد باتساع الكون وتمدده. لذا فالكمية الإجمالية للمادة والطاقة "السوداويتين"، تختلفان من وقت لآخر. وتقريباً نحو ٩٦٪ من الكون يتكون من مادة وطاقة سوداويتين ونحو ٤٪ من المادة والطاقة عرفناها مدرسياً، وتنطبق عليها القوانين الاعتيادية. لكن ماذا لو أمكن تحويل الطاقة السوداء إلى طاقة منتظمة، والعكس بالعكس؟ لا أحد يعلم.

**الوهم الخامس: الطبيعة والعملية التطورية عبثية لا غائية**  
الطبيعة والعملية التطورية عبثية لا غائية والرد على ذلك: العلة الغائية خارج نطاق العلم، لا يستطيع إحاطتها، فكيف يقرر بشأنها؟ وتفترض نظرية "المجال التكويني"، أن نمو وتطور الكائنات الحية لا يخضع لمؤثرات من داخلها، بل لمؤثرات خارجية. وهي خاصة بكل جنس من الأحياء على حدة. وتوجد المؤثرات الخارجية على هيئة مجالات ذات درجات قوة مختلفة، والتأثر بها موروث في الخلقة، وهو المسؤول عن النمو والتطور في أفراد جنس بعينه.

**الوهم السادس: كل الوراثة البيولوجية مادية وموروثة**  
كل الوراثة البيولوجية مادية وموروثة من الجينات، والحمض النووي، فعندما توصل "واطسون وكريك" إلى اكتشاف جزيء "دنا" (DNA) وطريقة قيامه بوظائفه، ظن العلماء أنهم توصلوا لسر الحياة "المادي". وأصبح

سلوك الجسيمات الذرية الصغيرة، فظهرت ميكانيكا الكم، التي تحمل في طياتها: "لا يمكن معرفة أي شيء على وجه الدقة تماماً، ولا توجد قياسات لانهائية الدقة أو حتمية النتيجة، بل يجب تضمينها درجة من "الشك". فأى أداة قياس لا تسجل نتائجها بدقة لانهائية، لأنها تتطلب قياسات وشروط ابتدائية لانهائية. لكن باستخدام أداة قياس أكثر دقة، يمكن التقليل من معدل "الشك" في التنبؤات النهائية بمقدار صغير يُحتاج إليه لهدف معين. وهدف العلوم هو زيادة الدقة المطردة لأدوات القياس لتقترب من الدقة المطلقة، ولن تصل إليها أبداً. وأعلن مختصون أن لديهم تقارير دورية، تؤكد "نسبية وتباينها الثابت الطبيعية" وفق متغيرات عديدة مكاناً وزماناً.

### الوهم الرابع: مجموع المادة والطاقة ثابت

مجموع المادة والطاقة ثابت، والمادة والطاقة لا تفنى ولا تستحدث. وهذه العقيدة هامة جداً وقائمة على افتراض عريق؛ ففلاسفة اليونان قالوا بأن الحقيقة المطلقة هي أبدية وثابتة، واعتقد "الفيثاغوريون" تجليها في الأرقام والرياضيات، واعتقد "الأفلاطونيون" أنها تحوم حول الأفكار الأبدية الماورائية، أما "الماديون" فقالوا إنها المادة والذرات التي لا يمكن زيادة عددها أو نقصانها. وعندما أدمج هذا المذهب مع العلم الحديث، انتقلت إليه الفرضية. فالله خلق جميع الذرات، ولأن الله خلقها فالعدد الإجمالي يبقى نفسه للأبد. ولأن الحركة والطاقة من عطاء الله إذا هما كمية ثابتة يستحيل اضمحلالهما أو ذهابهما، لأنهما "جعل إلهي".

وتبين أن انجذاب المجرات لبعضها أكثر مما كان سابقاً. وإذا جمعت مادة النجوم وكمية من الثقوب السوداء والكواكب والسحب الغازية، فستجذب المجرات الأخرى أكثر. وإذا اعتبرت هذه المادة السابقة فسيظهر خطأً فرضي صححه الفيزيائيون عبر زيادة الجاذبية وزيادة مادة أخرى. فأضافوا قيمة المادة السوداء (لا نعرف طبيعتها غير أنها خمسة أضعاف المادة المعروفة)، ولا بد من وجودها لتوازن المعادلات. مما أوجد مشكلة أن وجودها الزائد، يعني تضخم الكون بما لا يتصور. وماذا عن التوسع الكوني، والبرودة

### الوهم السابع: العقل موجود داخل الأدمغة وهو نشاط للمخ

عندما ننظر إلى شجرة، فإن صورة الشجرة التي تراها ليست خارجية وإنما هي داخل مخك. وهناك فرق بين غياب الدليل على العقل وبين الدليل على غياب شيء. ففي غياب الدليل على شيء فمن حق أي منا افتراض وجوده بدون اتهام بعدم الموضوعية، وربما هو عنده دليل لكنه لا يستطيع تقديمه. وغياب الدليل على الافتراضات العلمية ليس مؤشراً على أنها صادقة أو كاذبة، لكن على أنها مجرد افتراضات، وكذلك افتراض أن العقل البشري أكبر من حدود المخ المادية، وهناك قضايا منطقية تدعم ذلك. فلماذا تقبل بعض الافتراضات بدون أدلة لأنها تعود لتيار فلسفي بعينه، ونرفض أخرى لمجرد أن بعض العلماء يرفضونها؟!

### الوهم الثامن: الذكريات مخزنة في دماغك كأثار مادية

#### من عمل بروتينات فسفورية

كما تقول النظرية المادية بأن "الفضائل والردائل" هي "اهتزازات عصبية". لكن، في أفراد الجنس البشري، يوجد جهاز استقبال موروث (المخ)، ويتناغم مع مجال تكويني معين، فيلتقط مؤثراته، كما يلتقط المذياع برامج إذاعة معينة عند ضبط موجتها. ويعمل "المخ" كذلك كمرسل. وبدلاً من الاحتفاظ بالذكريات، فإنه يرسلها لفلك معين، كما يحمل الأثير الموجات الإذاعية للفضاء. وكما لا تتبدد الأصوات التي تبثها محطات الإذاعة (أي لا تتحول إلى عدم)، فكذا لا تتبدد ذكريات الإنسان في الفضاء. وطرافة هذه النظرية الخارجة على دلائل العلم الحديث، أنها الوحيدة التي يمكنها تفسير ظواهر عقلية مثل "الاستبصار"، و"التخاطر" .. إلخ. فكما يحدث اختلاط الموجات الإذاعية فيلتقط المذياع محطة غير

مقصودة، فكذا تختلط موجات الأفكار، فيلتقط مخ إنسان ما أفكار إنسان آخر في مكان بعيد. إن لغز الذاكرة ليس بالبساطة التي يتصورها الإنسان، وبالمقاييس العلمية، لا يوجد دليل مادي قاطع على أن المخ هو مركز تخزين الذاكرة، ولا يوجد دليل دامغ على مكان اختزانها.

### الوهم التاسع: الظواهر النفسية

الظواهر النفسية كالتخاطر عن بعد وتوارد الخواطر، لا يمكن حدوثها، وهي وهم. لا يمكن لأفكارك أن يكون لها أثر يتعدى المكان، لأنها تكمن داخل دماغك المادي. وتفترض نظرية "صدى التحول" أن "الذاكرة الكامنة في الطبيعة" والنظم الطبيعية، ترث الذاكرة الجماعية من كل الأشياء السابقة من نوعها". وهي مسؤولة أيضاً عن "التخاطر والترابط بين الكائنات الحية".

### الوهم العاشر: الطب الغربي الحديث هو الوحيد الفعال

تجاهل "الطب البديل أو التكميلي" وإن بدت علاجاته مؤثرة، فإما لأن المريض قد شُفي أصلاً، أو أنها كتأثير "الدواء الوهمي" (البلاسيبو). ويعتبر "الطب الأصيل أو البديل" جزءاً من نظام صحي متكامل في حضارات شرقية عدة. وتوجد "علاجات وفلسفات صحية" تحته: العلاج بالوخز بالإبر الصينية، والعلاج بذات الداء (الهوميوباثي)، والعلاج بالأعشاب والغذاء، والعلاج بتقويم العمود الفقري، والعلاج الطبيعي، والتدليك أو المساج، والعلاج بالروائح، والعلاج بالبلورات، وطب الطاقة.. وبات "العلاج بالوخز بالإبر الصينية" يدرس في الغرب، وأصبح ممارسة الطب الأصيل يتبنى أساسيات "الطب الغربي"، فيطلبون إجراء فحوص معملية قبل تحديد العلاج البديل. لذا فممارسة "الطب المتكامل" المدمج للنوعين لهو الأفضل للبشر، حيث العلاج من منطلق شمولي، يتقضي نمط الحياة اليومية والبيئة المحيطة، والحالة النفسية والعصبية. والخلاصة؛ رغم تقدم مسيرة العلم، وتطبيقاته، تحولت بعض افتراضاته لعقائد حتمية لا يجوز الشك في مصداقيتها أو مناقشتها. فهل تحرر العلم من "كهنوته وأوهامه" التي تناقض طبيعته النقدية؟ ■

© كاتب وأكاديمي مصري.



## الزهايمر والعودة إلى الوراء

الزهايمر، كلمة يحسب لها ألف حساب، وقد سمي المرض بهذا الاسم نسبة إلى العالم النفسي الألماني "ألويس آلزهايمر". مرض الزهايمر هو مرض العصر، ولكن ألا يجدر بالمرء أن يقوم بالعديد من الأمور ليحمي نفسه منه عند الكبر، وخاصة إذا علمنا أن السبب يكمن في حدوث الخلل من الناحيتين الغذائية والنفسية؟

من هنا آثرنا إجراء الحوار التالي مع طبيين مختصين في مجال الطب النفسي، نبين فيه أعراض المرض وأسبابه وبعض الطرق الناجعة في مساعدة المريض، وبالتالي الحد من تراجع حالته. وهنا تحضرنا الحالة التي كانت تعيشها راقصة الباليه الإسبانية "مارتا جونزاليس"؛ فقد أصيبت وهي عجوز بالزهايمر، ولكنها عندما سمعت موسيقى "بحيرة البجع" لـ"تشايكوفسكي"، راحت تقوم بالحركات الراقصة نفسها وهي ما تزال جالسة على كرسيها في أحد دور الرعاية الإسبانية

بطريقة رائعة مليئة بالإحساس والعاطفة، وكأنها تؤدي الرقصة على المسرح حقيقة. وكانت حركاتها أجمل من تلك التي نفذتها وهي شابة. وقد تناقل هذا الأمر العديد من منصات السوشيال ميديا المختلفة في إسبانيا والعالم.

### متى يصاب الإنسان بالزهايمر؟

الدكتور "سلام الذهب العجيلي" من العراق من مدينة بابل، وهو أستاذ في علم النفس، وحائز على دكتوراه في "الأنثروبولوجي"، وقد عرّف الزهايمر بما يلي:

الزهايمر هو حالة من الانخفاض المستمر في التفكير والمهارات السلوكية والاجتماعية، تؤدي إلى الخوف مما يؤثر سلباً على الشخص، ويصبح غير قادر على أداء مهامه، مثلاً نسيان الأحداث والمحادثات مع تقدم المرض أي ضعف في الذاكرة، وعدم استطاعته أداء مهامه اليومية. فالزهايمر هو عبارة عن مشكلة تصيب الدماغ، وتؤدي إلى تلف الخلايا الدماغية والعصبية، فتنتهار الذاكرة والوظائف الذهنية المهمة.

وتطرق الدكتور سلام الذهب العجيلي إلى أعراض المرض فقال:



hiragate.com

"من أولى الأعراض فقدان الذاكرة، وصعوبة في تذكر الأحداث والأشياء وفي تنظيم الأفكار، مما يدفع المريض إلى الاستعانة بأحد أفراد الأسرة لتذكيره، أضف إلى ذلك فقدان الذاكرة بين الحين والآخر، مثلاً أن ينسى أين وضع المفاتيح أو ينسى اسم أحد معارفه.. وهذا إن زاد فسوف يؤثر سلباً في القدرة على أداء وظائفه. ولا ننسى التقدم بالسن، فهو أحد العوامل للإصابة بهذا المرض، وقد يكون للوراثة دور أيضاً، كإصابة أحد أفراد الأسرة وبالدرجة الأولى الوالدين أو أحد الإخوة، وهذه حالة نادرة.

يتمثل الزهايمر بضعف الذاكرة لدى الشخص المصاب حسب العمر. وتشير الدراسات إلى أن بداية الإصابة تكون في سن الخامسة والسبعين فصاعداً. يكون لدى الشخص المصاب، ضعف في المشاركات الاجتماعية وبيئات العمل. ويسمى هذا المرض بـ"القصور المعرفي"، ويكون الأشخاص معرضين للإصابة بالخوف الشديد من كل شيء، وبعدها تتطور الحالة، ويصبح مصاباً بالخوف بسبب مرض الزهايمر. مما يؤدي إلى القصور المعرفي، ويؤثر في تغييرات نمط الحياة الصحية. وإن حصل هذا، فقد يؤدي في بعض الأحيان إلى الوفاة.

ومن الأعراض أيضاً، الصعوبة في تذكر المعلومات المكتسبة، فالدماغ مثله مثل باقي أعضاء الجسد، يتغير مع تقدم العمر. وتبدأ التغييرات في المزاج والارتباك ونمط السلوك، وتحدث للمصاب شكوك لا أساس لها من الصحة، فيتلو ذلك فقدان الذاكرة. وهذا يعتبر الأكثر خطورة مع حدوث تغييرات في السلوك، وصعوبة في الكلام والأكل والمشى والخوف الشديد".

### كيف نتعامل من مريض الزهايمر؟

أما الدكتور "هيثم شامية" من فلسطين (ماجستير في الصحة النفسية)، فقد تحدّث عن طرق التعامل مع مريض الزهايمر فقال:

"لا توجد طريقة علاج جماعية مثل بعض الأمراض النفسية، بل لكل حالة وضعها الخاص. والتركيز هنا يتوجه إلى الناس المحيطين بالمريض، الذين يُطلق

**يستحسن تشجيع مريض الزهايمر على التواصل مع الآخرين، مما يساعده على التعبير عما في داخله، ويحد من حالي القلق والتهيج المرافق للمرض، فيشعر أن له دورًا هامًا في المجتمع، كذلك تنشط ذاكرته وتحسن جودة النوم لديه.**

حذاء

وأكد الدكتور هيثم شامية "الحرص على عدم وجود المرايا الكثيرة في المنزل، لتأثيرها السلبي على نفسية المصاب، فيجب على من حوله الإبقاء على مرآة واحدة للضرورة ليس أكثر.

وعلى الشخص الملازم للمريض التكلم بصوت هادئ قدر الإمكان، وأن يكون ملاصقًا للمريض ويشعره بالحنان والحب والعطف والأمان.

وأكد أن تنقل المريض بين بيوت عائلته يسبب له الإزعاج الكبير، ويجعل حالته تسوء أكثر فأكثر، فما إن يستقر في مكان ويتعود على نظام ما، حتى ينتقل إلى مكان آخر فيبدأ من جديد، هذا يفقده العلاقة الحميمة، وتراجع حالته، ويشعره بالاضطراب والازعاج. أضف إلى ذلك، إعطاء المريض وجبات صحية خفيفة وأكثر من المعتاد، لأنه ينسى أنه أكل. ومحاولة إخراجته من البيت، والاتجاه نحو الأماكن التي يحبها.

ومن الضروري أيضًا، أن تبعد أدوات التنظيف عنه مثل الكلور، فربما توضع في قوارير المياه، فيلجأ المريض إلى شربها.

وتابع الدكتور هيثم شامية حديثه عن التأثير الإيجابي لممارسة الأنشطة عند مريض الزهايمر فقال:

"يستحسن ممارسة الأنشطة الاجتماعية والبدنية والهوايات، وكذلك العمل على تشجيعه للتواصل مع الآخرين، مما يساعده على التعبير عما في داخله، ويحد من حالي القلق والتهيج المرافق للمرض، فيشعر أن له دورًا هامًا في المجتمع، كذلك تنشط ذاكرته وتحسن جودة النوم لديه.

أهمية النشاط البدني عند مرضى الزهايمر والمقصود به الرياضة البدنية، ولكن يجب استشارة الطبيب لتحديد

عليهم اسم مقدمي الرعاية. هؤلاء يتوجب عليهم التركيز على عدة أمور أهمها:

• إذا كان المريض يعيش ضمن العائلة، فيجب توفير الجو الهادئ له. فالمريض يكون سريع الغضب والنسيان، فهو لا يحب الإزعاج، وينظر إلى الآخرين على أنهم يريدون إساءته كالإهانة وما إلى ذلك. وكذلك عدم عزل المريض، فهو يعرف أن لديه مشكلة ما، فالعزلة تزيد من تراجع الحالة عنده".

وقد تحدث الدكتور هيثم شامية عن مثال لمريضة جدّة، "كانت كثيرة النسيان، تنسى الأسماء والأشياء ومن يزورها، وتنسى هل أخذت الدواء أم لا.. وكثيرًا ما تسبب المتاعب لمن حولها، وخاصة عندما كانوا يضطرون إلى نقلها من بيت إلى آخر بغية التخفيف عنها، ولكن وضعها كان يزداد سوءًا دون أن يعلموا.

وعندما باعوا بيتها، ذهبت إليه وأخذت تطرق على بابه تريد الدخول إليه. فمن الصعب على مريض الزهايمر التخلي عن الأشياء التي يحبها. فشعورها بالاستغناء عنها وتنقلها من مكان إلى آخر، يشعرها بعدم الاستقرار ومن ثم التوتر والتهيج".

وأضاف هيثم: "هناك بعض الأمور التي شأنها أن تساعد المريض على التركيز وبالتالي عدم تدهور حالته؛ مثلاً إذا كان لديه جوال، فعليه أن يكتب فيه بعض الملاحظات، مثل أوقات تناول الدواء، والتاريخ الذي دفع فيه الفواتير، واستخدام الدفع الإلكتروني، فبإمكانه العودة إلى الإنترنت والتأكد من معلوماته.

وإذا لم يكن الشخص المريض لديه جوال، فليكتب على ورقة وتوضع في المكان المخصص لأدويته، أو بالقرب من الأشياء التي يستعملها وفق تنوع الملاحظات. ويمكن أن يُرسم للمريض جدول ذو ألوان معينة لها مدلولاتها، فالمربع الأحمر للدواء ذي العلبة الحمراء، وهكذا.

يجب مراعاة وضع المريض فيما يخص الضوضاء، وخاصة العشوائية في استخدام التلفاز، فربما يفضل البرامج الدينية والاستماع إلى القرآن. ومن المستحسن التفاهم معه بلغة العيون، والابتعاد عن المجادلة قدر الإمكان".



كي لا تسبب اضطراباً في النوم. ومن المتعارف عليه أن النساء أكثر عرضة للإصابة بالزهايمر بالنسبة للرجال، فطبيعة تركيب دماغ المرأة تختلف عن طبيعة تركيب دماغ الرجل، كما أن المرأة تعمر أكثر من الرجل".  
والدكتور سلام الذهب العجيلي، لخص طرق الوقاية ببعض النقاط التالية:  
"من الضروري مراجعة الطبيب المعالج وإخباره عن الحالة، ليمت السيطرة على المرض قبل استفحاله. وضرورة ممارسة الرياضة والتمارين بانتظام. تناول وجبات متوازنة ويفضل أن تكون طازجة، تنخفض فيها الدهون المشبعة.  
ومن المهم جداً الإقلاع عن التدخين أو الكحول وما شابه ذلك، لأنه أحد أسباب الإصابة بالمرض، وكذلك التحكم بارتفاع ضغط الدم والسكري والكوليسترول. واستخدام الأدوية المختصة والأعشاب الطبية التي تساعد على إنهاء الحالة.  
كذلك تناول الفاكهة والخضار بأنواعها المختلفة وأشكالها الطازجة وبصورة مستمرة، أضف إلى ذلك اتباع نظام غذائي صحي غني بالفيتامينات والمعادن ومضادات الأكسدة".  
ختاماً نؤكد أنه من المهم الإلمام بقدر كبير من الثقافة حول هذا المرض، فقد لا تخلو عائلة من مصاب أو أكثر، هذا ما يوفر الفرص الكثيرة للسيطرة على الحالة في مجال أخذ الحيلة والحذر. ■

(\*) كاتبة وصحفية سورية.

التمارين التي تناسب الشخص المريض. فالرياضة تحد من تطور الخرف، وتحسن الوظائف الذهنية كالذاكرة والتفكير، وتسهم في تحسين المزاج، وتزيد من ثقة المريض بنفسه. كذلك تفتح الأنشطة البدنية المجال للتواصل الاجتماعي فيبتعد المريض عن الوحدة، كذلك يشعر بالقوة واستعادة التوازن مما يحميه من السقوط.  
وهناك مشكلات يواجهها مريض الزهايمر، وهي ضعف القدرة على إيجاد كلمات مناسبة للحديث، أضف إلى ذلك معاناته في فهم بعض المفردات من الحديث، وليس لديه القدرة على التركيز أثناء الحوارات الطويلة، وفقدان تسلسل الأفكار والتركيز في الحوار، كذلك الحساسية المفرطة أثناء فشله في الحديث وبالتالي استثارته".  
وتحدث الدكتور هيثم شامية - كذلك - عن مشكلة العلاج الدوائي:

"العلاج الدوائي المثبط، له آثار سلبية يجعل المريض لا يتكلم، ويصبح مدمناً على الدواء كمدمن المخدرات، فيشل الجهاز العصبي. علماً أنه يجب أن يبقى المريض متفاعلاً اجتماعياً حتى لا تسوء حالته، والعلاج يوقف هذا التفاعل الاجتماعي.

هناك مادة بروتينية تزداد في الدماغ، وزيادتها تؤدي إلى ضموره، وحدوث الزهايمر، وهناك اختبارات وفحوصات تكشف الحالة، والعلاج في بدايته أفضل بكثير، لأنه يقلل من تطور الحالة.

التغذية لها أهمية كبيرة، فيجب أن تكون الوجبات صحية فيها فيتامينات وقمح و"أوميغا ٣"، وتجنب الكحول والقهوة والمشروبات التي تنشط إدرار البول،

## كورونا.. دروس وعبر

قد تكون جائحة فيروس كورونا المستجد، من أهم الأحداث الإنسانية التي وقعت في المائة عام الماضية. إن هذه الجائحة هزت ثوابت العصر الحديث، واستطاعت أن توقف حركة البشر بشكل غير معهود. ولكن مهما عرفنا الآثار التي أحدثها هذا المخلوق المجهرى، فينبغي ألا ننصرف عن الاعتنا والاعتبار، والنظر في الأسباب غير الظاهرة، وألا ننسى ضعفنا وقلّة حيلتنا أمام القدرة الإلهية. وكثيرة هي العبر والدروس التي ينبغي أن نستخلصها من تفشي هذا الوباء في العالم أجمع، نذكر منها ما يلي:

أن يدرك البشر كلهم ضعفهم أمام قدرة الله تعالى، وأن يدعوا غرورهم بمخالفة شرائعه؛ فقد هزمهم هذا الفيروس الذي لا يرى بالعين المجردة، هزمهم رغم جيوشهم وأسلحتهم المدمرة، هزمهم رغم تقدمهم

لقد أجبرتنا جائحة كورونا أن نجلس جميعًا في عزلة واحدة، تَلْفُنَا أُرْدِيَةُ التَّخَوُّفِ وَالْحَذَرِ، وِنَتَرَقَّبُ سَاعَةَ الْإِنْفِرَاجِ بِالْأَمَلِ. الْجَمِيعُ عَرَفَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ، الْجَمِيعُ أَدْرَكَ أَنَّهُ كَغَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ، لِن يَمِيزُهُ لَوْنُهُ وَلَا عِرْقُهُ وَلَا جَنَسِيَّتُهُ وَلَا كُلْ عَنَصَرِيَّاتِ الْبَشَرِ وَعَنَجْهِيَّاتِهِمْ.

حزاه

العلمي الذي ظنوه قد بلغ القمة، وحسبوا أنه لن يُعجزهم شيء، فهزهم رغم كل إنجازاتهم العلمية واكتشافاتهم، لكي يدركوا ضآلة ما عرفوا في مقابل ما جهلوا، لكي يدركوا أنهم أقل وأضعف من أن يغتروا بما وهبهم الله تعالى من المعارف ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

أن يعرف البشر أن ما يبذلونه في التسليح وآلات الدمار، كان ينبغي أن يكون كله أو غالبه في البحث العلمي، لأنهم لو كانوا فعلوا ذلك بقصد نفع البشرية، لربما كانوا قد نجوا من هذه الجائحة؛ بالوقاية منها وبإيجاد العلاج الشافي منها (بإذن الله).

أن يعلم البشر حاجتهم للنبوات والشرائع السماوية التي تبين لهم علاقتهم بالموجودات، وكيف يتعاملون معها؛ لأن تلك الشرائع هي هداية الله للناس من شطط الغرائز وانحراف الأخلاق وانطماس الفطر، لأنها جاءت هادية لهم إلى ما يسعدهم. فقد جاءت الشرائع -مثلاً- تبيح مطعمومات وتحرم أخرى، لا عبثًا ولا تضييقًا على الناس، وإنما قيامًا على ما فيه مصلحتهم. فلما تجاوز الناس حدود ما تبيحه الشرائع من المطعمومات والمشروبات وغير ذلك من الأفعال، ظهرت فيهم الأوبئة كفيروس كورونا.

أن يُقدِّس البشر سنن الله تعالى في الخلق، فلا يحاولوا التدخل بالإفساد في قوانين الطبيعة، فإن الذي خلق الأرض يغار عليها من الإفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٨٥)؛ فقد بدت حكمة الله تعالى

لجونا (٨٧) جمعاً - فؤاد محمد صالح بن محمد

٣٠

hiragate.com

في هذا الفيروس، وهو أن تتنفس الأرض من آثار الانبعاثات التي أفسدت غلاف الأرض الحامي لها من الأشعة الضارة المنبعثة من الشمس. لقد رأى الناس زُرْقَةَ السَّمَاءِ التي كانت محجوبة عنهم في عدد من عواصم العالم.

أن يتذكر الناس حقيقة طالما غفلوا عنها أو تغافلوا عنها، وهي أنهم يعيشون في كوكب واحد، جعلته وسائل النقل والاتصال الحديثة قرية واحدة، فما يُبتلى به شعبٌ، ستظهر آثاره على بقية الكوكب.

أن يتحقق الناس كلهم، أن أخوتهم الإنسانية توجب عليهم أن يقوموا بحقتها؛ تراحماً وتعاطفاً وتعاوناً في الخير، فلا تكون المصالح الخاصة بشعب سبباً لتجاهل شعب آخر، فضلاً عن الاعتداء عليه طمعاً في مقدراته وثرواته. لقد أجبرتنا هذه الجائحة أن نجلس جميعاً في عزلة واحدة (دولنا الغنية ودولنا الفقيرة على حد سواء ، دول العالم الأول والعالم الثالث)، تَلْفُنَا جَمِيعًا أُرْدِيَةُ التَّخَوُّفِ وَالْحَذَرِ، وِنَتَرَقَّبُ سَاعَةَ الْإِنْفِرَاجِ بِالْأَمَلِ. لِمَ يَنجُ مِنْ هَذَا الْوَقَاعِ رَئِيسُ دَوْلَةٍ، وَلَا عَامِلٌ فِي شَارِعٍ، وَلَا الدَّوْلُ الْمُتَقَدِّمَةُ، وَلَا الدَّوْلُ النَّامِيَةُ.. الْجَمِيعُ عَرَفَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ، الْجَمِيعُ أَدْرَكَ أَنَّهُ كَغَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ، لِن يَمِيزُهُ لَوْنُهُ وَلَا عِرْقُهُ وَلَا جَنَسِيَّتُهُ وَلَا كُلْ عَنَصَرِيَّاتِ الْبَشَرِ وَعَنَجْهِيَّاتِهِمْ.

أن يعلم المتعادون والأصدقاء، أن نجاتهم لن تتم بهلاك عدوهم، بل نجاتهم مرتبطة بنجاة عدوهم وصديقهم على حد سواء. فلو نجت بلدك من هذا الوباء وتجاوزت مرحلة الخطر فيه، وبلد عدوك ما زال المرض فيها متفشياً، ما الذي يحميك ويحمي بلدك من أن تعبر العدوى إليك في دورة جديدة لتفشيته؟! لذلك أنت مضطر لطلب النجاة لعدوك كما تطلبها لنفسك. أرايتم كيف بينت هذه الجائحة تفاهة العداوات أمام ما يُهدد البشرية؟! ■

٢٠ كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى / المملكة العربية السعودية.



## بشارة

واسمع ما أقولُ  
لا تخشَ  
إنَّ الناسَ في خُطواتِهِمْ قيدُ الوُصولِ  
وحياتُنَا يوماً ستمضي  
ليسَ من شيءٍ يُحوِلُ  
بجماها وبقبِحها  
كلُّ سَيِّدِركُهُ التُّحوِلُ  
كم حارَ فيها من جِسومٍ!  
حارَ فيها من عقولٍ!  
وتطيبُ حالكَ بعدها  
تغدو همومُكَ كالسهولِ  
بالعفوِ بينَ يدِ الكَريمِ يطيبُ للقلْبِ المثلُ  
أبشِرْ هنا بتصبّرٍ  
وهناكَ أبشِرْ بالقبولِ

(\*) شاعر وأديب مصري.

أبشِرْ  
فحزنُك لن يطولُ  
أبشِرْ  
ففرحُك لن يزولُ  
أبشِرْ  
فإنَّ شمسَكَ الغراءَ  
يخشأها الأفولُ  
أبشِرْ  
فذكركَ يانعٌ في القلبِ  
لا يرضى الذبولُ  
أبشِرْ  
فأمركَ كُلُّهُ خيرٌ  
كما قالَ الرسولُ  
أبشِرْ  
فحتى لو تَمَادَى الحزنُ في قرعِ الطبولِ  
أقصى مصابٍ أن تموتَ، وفيكَ أمنيَّةٌ تَصُولُ  
فأرحُ فؤادَكَ يا فتى لله

## داء الإلحاد ودواؤه

ي يجب ملامسة قلب المخاطب وضميره عند التحدث إليه، يجب أن تبدأ كل جملة وتنتهي بالصدق والحب، وألا تحتوي على أي تعريض بشخصيته أو تجريح بأفكاره، وإلا فقد حديثنا معه تأثيره، بل ربما جعله خصمًا لنا. على المرشد التصرف كطبيب رؤوف مُصرّ على معالجة مريضه؛ فيحنو عليه، ويُنصت إليه، ويحسن بآلامه المعنوية كحواريّ صادقٍ، وكرجل باحث عن الحق والحقيقة. فإن تناغم الصوت والحديث في مثل هذا الجو، انسابت المعاني إلى قلب المخاطب كما زمزم لتطهره، وهنا نستطيع التأكد بأننا وصلنا إلى قلبه. ولا تغيب عن بالنا نقطة مهمة هي أنه عندما يفارقنا مخاطبنا هذا، عليه أن يفارق وهو محمّل بانطباعات جيدة عنا؛ عن صدق تصرفاتنا، عن إشراق أبصارنا، عن إخلاصنا.. فإن أبدى رغبته في اللقاء بنا مرة ثانية، تأكدنا بنجاح إيصال معظم ما أردناه.

### قدروا من تخاطبونهم

لا تنتقدوا الأفكار الخاطئة للمخاطب أو بياناته غير الصائبة بشكل يجرح غروره، ولا تهونوا من شأنه أمام الآخرين، فإن كان هدفنا الوصول إلى قلبه،

فعلينا أن نضحى بغرور أنفسنا، بل حتى بما يجرح كرامتنا، ولن نستطيع جعله يتقبل أي شيء منا إن جرحنا كرامته.

### لا تعرّفوهم بأشخاص غير جديين

لا تعرّفوهم بأشخاص غير جديين في سلوكهم، وغير صائبين في أفكارهم. ومعلوم أن التعرّف بالذين ضُغف توجُّههم إلى خالقهم سبحانه لا يجزئ أي نفع مطلقاً، لا سيما أولئك الذين يدعون التدين ولكنهم محرومون من عشق العبادة، الذين تعكرت أفكارهم ومشاعرهم، فيجب الحذر تماماً من تعريفه بأمثال هؤلاء.

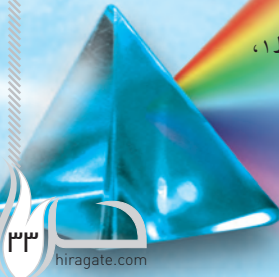
### اتركوا لهم حرية الكلام

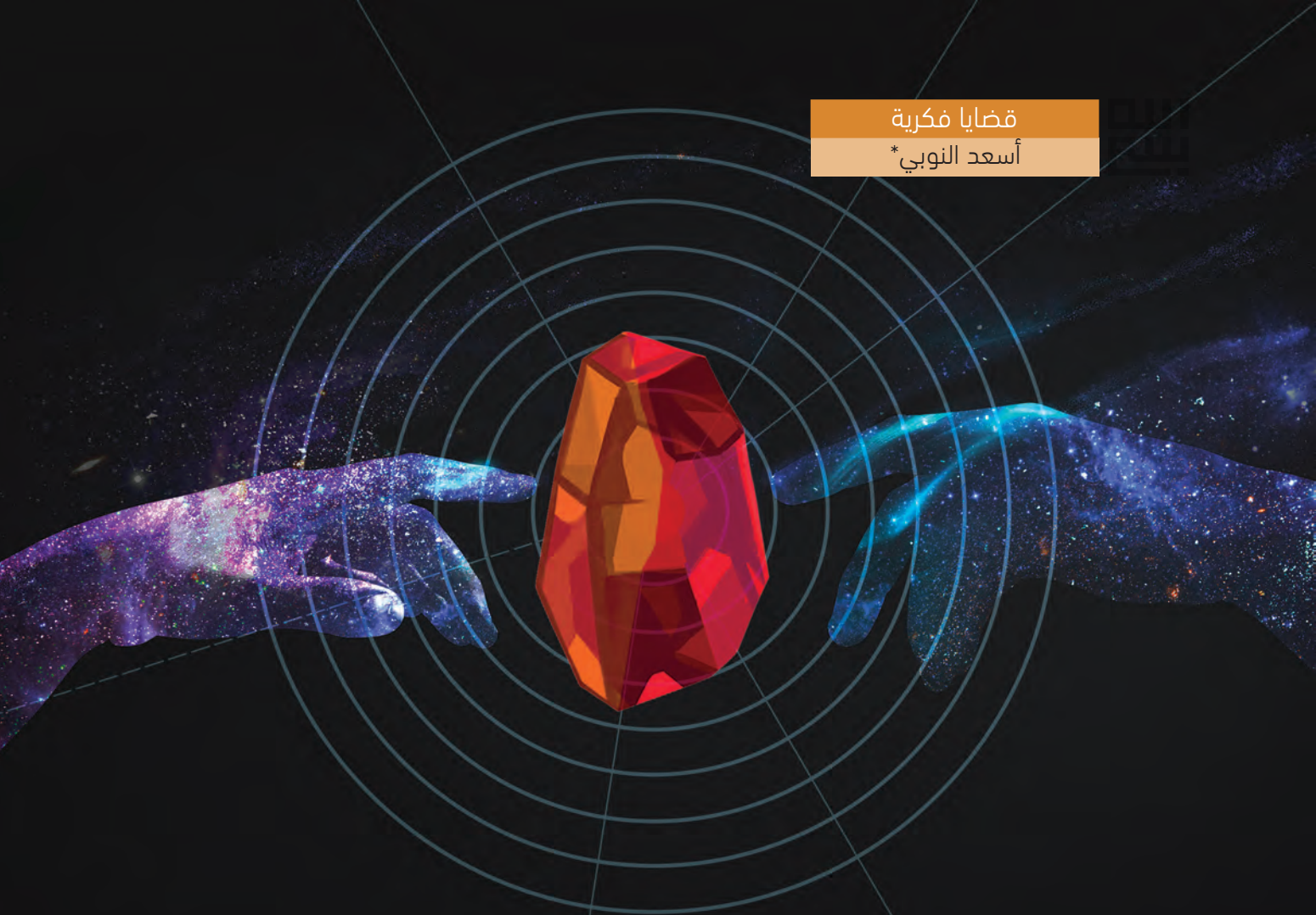
اتركوا لهم فرصة الكلام بين حين وآخر ليُفصحوا عما يختلج مشاعرهم، فهم بشر ويجب منحهم فرصة التعبير عن أفكارهم. صحيح أن الاستماع للأفكار الباطلة يجرح الروح ويعكّر صفو الفكر، ولكن التحلي بالصبر، وتجرُّع الألم لاكتساب قلب جديد، واجب علينا؛ وإلا فإننا إن لم نُعطِ له حقّ وفرصة إبداء الرأي وتوضيح الفكر. فكم من مرشد اشتهر باحتكار الحديث وأصبح مكرهاً بسببه، فهو على رغم بذله الجهود الجبارة، لا يستطيع الوصول إلى أي نتيجة إيجابية.

ومن المفيد أن يذكر المرشد في أثناء كلامه، أن الأفكار التي يقدمها ليست خاصة به، وأن كثيراً من المفكرين العظماء السابقين والحاليين يشاركونه فيها، وأن كثيراً من المفكرين الموجودين حالياً باستثناء فئة قليلة جداً، هم من أصحاب العقيدة السليمة، ويذكر أسماءهم ويضرب بهم المثل، لكي لا يبقى كلامه كلاماً مجرداً.

ونلخص الموضوع فنقول: بعد تعيين وضع المنكر، فإن أسس الإيمان هي أول ما يجب ذكرها له، وبعد الاطمئنان إلى استقرار الإيمان في قلبه، يمكن التطرّق لمسائل أخرى، وإلا فإن تقديم المسائل بترتيب خاطئ يشبه تقديم الحلوى أولاً في الوليمة، أو يشبه تقديم اللحم إلى الحصان، والعشب إلى الكلب، ومثل هذا الترتيب الخاطئ لا يأتي بأي نتيجة، بل يمنح المخاطب انطباعاً سلبياً. ■

(\*) الاستقامة في العمل والدعوة، سلسلة أسئلة العصر المحيرة (٣)، دار النيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٥، ص: ٩٩-١٠٢. وعنوان المقال من تصرف المحرر.





## حَجَر الفلاسفة وتابوت العهد

نسمع دائماً في الحكايات والروايات وقصص السحر والخيال وفي أفلام السينما عن حجر الفلاسفة، فما هو ذلك الحجر؟ هل هو مسحوق أحمر لحجر أسطوري، أم

ن

أنه فكرة ناتجة عن علوم الكيمياء؟

يذهب البعض إلى أن مدينة الإسكندرية هي موطن البحث عن حجر الفلاسفة وإكسير الحياة الذي يحيل المعادن "الخسيسة" إلى ثمينة، ويعيد الشباب إلى الإنسان. إن هذا الفن قديم، قال البعض بأن نشوءه في مصر، وقال آخرون في الصين (القرن الثالث أو الخامس قبل الميلاد)، وأنه ترافق مع التنجيم واختلط به السحر، وأن هذا الفن الذي أطلق عليه الكيمياء القديمة (أو الخيمياء)، التي سيطرت الرمزية عليه في العصور الوسطى

**حَجَر الفلاسفة هي مادة يمكنها تحويل المعادن العادية كالحديد والخرصين والرصاص والنحاس والنيكل، إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة. كما تعتبر مانحة للحياة؛ فهي تتميز بعلاج الأمراض، وتجديد الشباب كما في الأساطير.**

حذاء

وأغرقها الغموض، ووصل إلى العرب في القرن الثامن الميلادي وبقي معهم إلى القرن الثاني عشر، وانتقل إلى أوروبا عن طريق ترجمة أعمال العلماء والكيميائيين العرب، من أمثال خالد بن يزيد، وجابر بن

حيان، وذي النون المصري، والطغرائي، وزكريا الرازي وغيرهم.

تتميز أسطورة حجر الفلاسفة، بعدد من العناصر تجعلها مثيرة للاهتمام عن غيرها من الأساطير الشعبية، أولها أنها تميزت بعالمية غريبة زمنياً ومكانياً، حيث تأتي تقريباً -بشكل أو بآخر- في كل أدبيات الحضارات الكبرى في العالم القديم؛ من مصر الفرعونية إلى آشور وفارس والصين، ومنها تنتقل عبر الأزمنة إلى اليونان وأوروبا، حيث أصبحت أحد الأعمدة الشهيرة للشكل الذي ظهر بعد علم "السيمياء" في العصور الوسطى، وهو علم تمت ممارسته بطرق ومسميات مختلفة عبر العصور.. وهو جد الكيمياء الحديثة، حيث كان السيميائيون مجريين، يجمعون بين الخرافة والسحر وألويات العلم الحديث، وهم يحاولون الوصول إلى تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، واكتشاف أكسير الحياة وغيرها من الأحلام الفانتازية التي كان حجر الفلاسفة بقدراته السحرية والوعد الذي يجلبه لمن يكتشفه، أو يضعه بتحقيقها عنصراً أساسياً في هذه التجارب التي أسهمت في حد ذاتها بدرجة ما، في وضع أسس المناهج العلمية الحديثة.

منذ العصور الوسطى إلى أواخر القرن السابع عشر، كان حجر الفلاسفة هو الهدف المنشود في عالم الخيمياء (الكيمياء القديمة). طبقاً لما تناولته الأساطير، فحجر الفلاسفة هو مادة يمكنها تحويل المعادن العادية كالحديد، والخرصين، والرصاص، والنحاس، والنيكل، إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة. كما تعتبر مانحة للحياة؛ فهي تتميز بعلاج الأمراض، وتجديد الشباب.. وكل هذه الخصائص المذهلة، تناولتها الأساطير على مر العصور والأزمنة. حَجَر الفلاسفة ليس بالضرورة أن يكون حجراً، فهو يمكن أن يكون بودرة أو نوعاً آخر من أشكال المواد، فالمسمى المشهور عنه كما سمعنا هو "البودرة".

لقد تولى الكثير من ذوي العقول المنيرة، مهمة البحث وراء حقيقة أمر حجر الفلاسفة على مر القرون، من هؤلاء، العالم الشهير أبو الكيمياء الحديثة "روجر بويل"، وكذلك العالم الكبير "إسحق نيوتن"، وهما عالمان مجهوداتهما العظيمة خالدة إلى يومنا هذا.

### بيضة الفلاسفة

كان العلماء على مر العصور يصدقون في قدرة البودرة الخارقة، وبدلوا جهوداً مضنية في التوصل إلى حقيقة أمرها، لذلك قاموا باستخدام بعض المعادن المعروفة في تجاربهم للتوصل إلى نتيجة مجزية، وكانت هذه المعادن هي الحديد، والنحاس، والقصدير، والرصاص. ولقد قاموا باستخدام عملية التسخين في بوتقة زجاجية على شكل ثمرة الكُمثري، وكانت هذه البوتقة تسمى بـ"بيضة الفلاسفة" أو بـ"هيرمس".

من هذا القبيل، رغب العلماء في التوصل إلى حقيقة الأمر، مما جعلهم يفتحون معاملهم ويختبرون العديد من المواد المجهولة -حينها- ليتعرفوا على خصائصها وتفاعلاتها، لكي يتمكنوا من التوصل لأي شيء بخصوص حجر الفلاسفة، مما أدى بشكل غير مباشر إلى اكتشاف العديد من الأمور الهامة في عالم الكيمياء والفيزياء والميتالورجي بمحض الصدفة. وهنا كانت قوة الأمر الخفية، فأثناء سعيهم لمعرفة أمر معين، اكتشفوا العديد من النظريات والحقائق العلمية في مختلف فروع العلم التي نستفيد منها حتى الآن.

### تحضير الزئبق

وصل العلماء أنه في حالة تحول المعدن إلى اللون الأسود، فإن ذلك يشير إلى موت المعدن الداخل في التجربة، أما إذا تحول اللون إلى اللون الأبيض، فهذا مؤشر على تحول المعدن إلى معدن الفضة، وأما إذا تغير لون المعدن إلى اللون الأحمر، فهذا معناه تحول المعدن إلى الذهب.

كل هذه الجهود التي بذلها العلماء لصناعة حجر الفلاسفة، عرفت حينها بـ"ماجوس أوبوس"، وهذه كلمة لاتينية تعني "العمل العظيم". وبعد مواصلة البحث وراء الأمر واكتشاف الأمر من العلماء، كتب الكثير منهم العديد من الكتب السرية التي لم تنشر حينها، وذلك لأن تحويل المعادن إلى الفضة والذهب كانت جناية. فظل الأمر سرًا، وتناولته الأساطير وجعلت منه مادة عظيمة لتشويق القراء والمشاهدين إلى يومنا هذا.

لقد كتب السيد إسحق أكثر من مليون كلمة حول أمر حجر الفلاسفة، وبعد وفاته (١٧٢٧)، قرر المجمع الملكي أن هذه الكتابات غير ملائمة للنشر. وتم إعادة اكتشاف أوراقه في منتصف القرن العشرين، وأقر معظم العلماء أنه كان أكبر الخيميائيين.

أما عن هذه الكتابات التي دُفنت، فقد كانت تكشف عن وصفته السرية لاختراع حجر الفلاسفة، وكانت الوثيقة تكشف عن طريقة تحضير الزئبق، وكانت مكتوبة باللغة اللاتينية، وعندما تم ترجمة عنوانها أصبح: "تحضير الزئبق من أجل حجر الفلاسفة". كان تحضير الزئبق أول خطوات صناعة حجر الفلاسفة، وعن طريق كل هذه المحاولات والاكتشافات، توصلوا لما نحن عليه الآن من نظريات وقوانين. لذلك كانت قوة حجر الفلاسفة تكمن فيما جئنا من ورائه، كما أن هناك العديد من الرموز والأكواد السرية التي لم يكشف عنها التاريخ بعد. ولكن ما أجمع عليه العلماء، أن حجر الفلاسفة قوته الخارقة لم تكن بشكل مباشر، ولكن ما حدث بشكل غير مباشر في تكوين أهم علوم اليوم.

### تابوت العهد

تابوت موسى عليه السلام... تابوت العهد... تابوت الرب.. تابوت الشهادة.. كلها أسماء لذلك التابوت المقدس، الذي ذكر في القرآن وفي الكتاب المقدس.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٨)، والملك المشار إليه في الآية الكريمة هو الملك طالوت.

يقول الكتاب المقدس بأن الله قد نقش الوصايا العشر على لوحين حجريين وأعطاهما للنبي موسى عليه السلام، ولحماية اللوحين والسماح بحملهما، تم صنع وزخرفة صندوق مصنوع من خشب السنط بزخارف ذهبية، وكان يبلغ طوله حوالي ثلاثة أقدام ونصف، ويزيد عرضه قليلاً على قدمين، وله قطبان معلقان بحلقتين من الذهب على جانبيه. ونقش لاثنين من الملائكة الكروبيين (حملة العرش) فوق قمته، أما غطاء الصندوق فكان يسمى "غطاء التكفير" أو "مقعد الرحمة". وقد رافق الصندوق موسى عليه السلام وبني إسرائيل في سعيهم لأرض الميعاد، وكان يجلب لهم النصر أينما ذهبوا. وعندما أسسوا القدس -في النهاية- بنى الملك سليمان قدس الأقداس أو الهيكل الأول وحفظ فيه الصندوق. وقد سمي هذا الصندوق المقدس بـ"تابوت العهد". ويرجع أن الآثار التي يحويها التابوت تشمل عصا موسى والمتبقي من الألواح المقدسة التي أنزلها الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام.

### أين التابوت الآن؟

يهتم بعض الباحثين والدارسين للتاريخ بمكان التابوت، وأصحاب الديانة اليهودية يؤمن بأن التابوت موجود، ولكن تم إخفاؤه في مرحلة "الشتات" حفاظاً عليه. ويؤمن الكثير منهم أنه موجود حيث يوجد هيكل النبي سليمان عليه السلام إذ تم إخفاؤه هناك عن طريق الملك ياشياهو حفاظاً عليه.

وصف الإنجيل بأنه هو التابوت الذي بناه النبي موسى عليه السلام ليحفظ فيه الألواح التي كتبت عليها الوصايا العشر، وهناك الكثير من الحديث عنه في الأدبيات العبرية والإنجيلية. كما قيل أيضاً أنه يحتوي على قارورة تضم بقايا من الطعام الذي استخدمه اليهود أثناء تيهيمهم في الصحراء قبل الوصول إلى أرض كنعان. أحاطت بالتابوت الكثير من الأساطير عن الكثير من الأمور المتعلقة به، بداية من صناعته نفسه وحتى القدرات الخارقة للطبيعة التي تنطوي عليها محتوياته، والمكان الذي استقر فيه بعد أن تنقل كثيراً عبر العصور. ولكن من المؤكد أن التابوت قد وجد بالفعل في وقت من الأوقات، لأنه ذكر في كتب الأديان السماوية جميعها بصورة واضحة.

في حين هناك رواية أخرى تقول إن التابوت تم نقله إلى مصر، حيث وصل إلى أسوان وبالتحديد في جزيرة الفنتين على نهر النيل، ومنها انتقل إلى أثيوبيا وبالتحديد في مدينة أكسوم في كنيسة السيدة مريم من صهيون.

وتؤمن الكنيسة الأثيوبية بذلك تماماً، ويتم تعيين كاهن كهل يكون هو الوحيد المصرح له بالدخول ورؤية التابوت، ويتم تغيير هذا الكاهن باستمرار. وهناك أقاويل عن تعرض من يتم تعيينه لحراسة التابوت لضعف البصر فور رؤيته التابوت، كما أنه يعاني من أعراض تشبه التعرض للإشعاع الذري.

ويرى البعض أن التابوت موجود في بحيرة طبرية (في الأردن)، وسوف يخرج المهدي المنتظر عند ظهوره. ■

(\*) كاتب وباحث مصري.





هناك اختلافات ظاهرة جدًا في بعض الأحيان بين ما تراه العينان وما يراه الدماغ، فحاسة النظر لا تخبرنا دائمًا بالحقيقة؛ ففي بعض الأحيان تكون العينان والدماغ ضحية لخدع بصرية، وبشكل خاص عندما نواجه صورًا مبهمة أو غامضة المعالم.

حذاء

وهي خدعة بصرية (ضوئية) تحدث بسبب الاختلاف في كثافة طبقات الهواء القريبة من سطح الأرض، مما يجعلها في حالة توهج شديد، حيث تبدو كالماء الذي يلتصق بالأرض ليعكس صورًا وهمية للأجسام، وكأنها منعكسة عن سطح مرآة كبير.

وتتمثل ظاهرة السراب، فيما يشاهده المسافر في الصحراء، وفي المناطق القطبية أثناء النهار من وجود بقع مائية على الطريق، أو رؤية صور مقلوبة للأشياء كالأشجار. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَائِغًا﴾ (النور: ٣٩).

### أنواع الخداع البصري

للخداع البصري عدة أنواع ترتبط بحواس الإنسان المختلفة، وكيفية عمل عقله، وكذلك ما حوله من أشياء. قام العلماء بتصنيف أشكال الخداع البصري إلى ثلاثة أنواع أساسية هي:

١- الخداع البصري الواقعي: يعتمد هذا النوع على أشياء واقعية لخلق صورة خيالية أو وهم، ومن أمثلة ذلك استخدام الفاكهة والخضروات لتكوين وجه إنسان، أو تلوين كف اليد ليأخذ شكل حيوان أو طائر.

٢- الخداع البصري الفسيولوجي: يعتمد على التأثير على وظائف المخ والعين باستخدام بعض العناصر البصرية، مثل البريق والحجم واللون والزواوية والحركة.. كذلك التعرض لهذه العناصر لفترة زمنية معينة وذلك لجعلك ترى الأشياء بصورة مختلفة عن واقعها. ومن أمثلة ذلك بقع الإضاءة التي تراها بعد التعرض لضوء قوي.

تتحول حقيقة الأشياء أمام أعيننا دون أن نلاحظ؟ وهل يمكن أن يعتمد العلم على الوهم والخيال؟

### خداع البصر

خداع البصر اسم نطلقه على رؤيتنا لشيء ما بأعيننا، فيبدو لنا بصورة نحن نعلم أنها ليست هي الحقيقة، وهو خاصية ديناميكية تعطي إحساسًا بالحركة لدى المتلقي، كما أنه ظاهرة ضوئية ينتج عنها ألا تظهر الأجسام على حقيقتها أمام العين نتيجة لوجود مؤثرات حسية أو ضوئية تسبق أو تحيط بالرؤية.

وهو انطباع خاطئ يحدث عند المشاهد يخالف الحقيقة. ولا يقتصر الخداع على حاسة البصر فقط، بل يمتد ليشمل الحواس الأخرى، كاللمس والسمع والشم والذوق.. لكننا سنتنصر في هذا المقال على الخداع البصري الذي يشار إليه بـ"Visual illusion" وهو أن يرى الناظر الصورة التي أمامه على غير حقيقتها، وذلك بسبب خداع أو تضليل الرؤية، حيث يحدث الخداع البصري نتيجة أن المعلومات التي تجمعها العين تجري معالجتها في الدماغ بطريقة خاطئة تعطي نتائج غير مطابقة للواقع والحقيقة. والخداع البصري عمليًا هو الاحتيال على العين، ويمكن تعريفه باعتباره "الغش البصري" عندما تخدع العين بحيث تتخطى المعرفة المنطقية للعقل.

وقد أخبر القرآن منذ مئات السنين عن ظاهرة الخدع البصرية والوهم التخيلي، التي استعملها سحرة فرعون من قبل ليكتشف العالم حقيقة هذه الظاهرة. فالعلم الحديث لم يدرك حقيقة الخداع البصري إلا بعدما أدرك التكوين العضوي للعين، وطريقة عمل النظام البصري وعلاقته بالدماغ، بينما أشار الله تعالى إلى ذلك في كتابه منذ مئات السنين وبمصطلحات دقيقة "سحر الأعين"، "خَيْلٌ" .. قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦).

### ظاهرة السراب

نرى في الطبيعة أشكالاً متنوعة من الخداع البصري المتمثل في العديد من الظواهر الطبيعية كظاهرة السراب،



٣- الخداع البصري الإدراكي: يعتمد هذا النوع على طريقة تفكيرنا وإدراكنا للأشياء، أي أن الإنسان يبنى نظرتة للأشياء على أفكار ثابتة في عقله منذ الصغر وعلى ما تعود على رؤيته طوال عمره، وليس على ما يوجد أمامه بالفعل، مما يؤدي به إلى تخيل أشياء غير موجودة، ورؤية الأشياء بطريقة مختلفة عن حقيقتها. وهو يعتمد على عدة مبادئ، كالغموض والتشويش والتناقض والتخيل.

### فن الخداع البصري

هو فن ازدهر في منتصف القرن العشرين على يد الفنان المجرى "فيكتور دي فازاريللي"، ويقوم هذا الفن على نظرية عملية تتصل بالإدراك البصري للأشكال والأرضيات المتشابهة في خصائصها الشكلية، كما أنها تعتمد على خطوط وأشكال تجريدية، بحيث تحدث الحركة في عين المشاهد. فالعقل البشري كثيراً ما يقع في أخطاء بصرية في معالجته وتفهمه وتحديد، للأشكال المحيطة نتيجة الخداع البصرية، وهو موضوع تعرض له القدماء وعالجوا أثره في كثير من جوانب حياتهم.

وهناك عدة أنواع للخداع البصرية: خداع بصرية تعتمد على الأشكال الهندسية، وخداع متعلقة بالألوان، وخداع متعلقة بالأحجام والقياسات، وخداع متعلقة بتحريك الصورة، وخداع متعلقة بالهندسة، وخداع بصرية تعتمد على الظل.

والخداع البصرية هي تشويش وتشويه للحواس الموجودة عند الإنسان مثل السمع والشم والذوق واللمس والبصر، فحواس الإنسان عبارة عن دائرة منظمة ومتكاملة تساعد العقل وتحفزه على العمل، ومن غيرها لا يقدر أن يجمع المعلومات أو البيانات أو حتى القدرة على التعايش. فالحواس مهمة جداً لاتخاذ القرارات ومعرفة الحقيقة من الخيال والأوهام. والخداع البصرية يمكن أن تثبط عمل العقل من خلال تأثيرها على الحواس. وتتبع هذه الخداع البصرية في أغلب الأحوال، من محاولة العقل البصري -الجزء الخاص بالإبصار من المخ- تحديد وضع الأشكال المسطحة في الفراغ والأحجام، وينتج الخطأ من محاولة فرض وتحديد البعد الثالث. ويرى علماء النفس أن الحواف والخطوط الخارجية هي أول ما يلفت النظر، وبعد ذلك تقوم العين بتفسير ما بداخل تلك الخطوط من خلال شبكية العين التي يتم استثارها.

### الجشئالت ودورها في تطوير الفنون البصرية

الجشئالت (Gestalt) هي مدرسة ألمانية فكرية تتبع نهجاً مستحدثاً في دراسة الإدراك البصري، نشأت في أوائل القرن العشرين، وتعني كلمة "جشئالت" "الشكل" باللغة العربية، أو بمعنى آخر، دراسة سيكولوجية الشكل. وقد قامت هذه المدرسة بوضع نظريات علمية وسيكولوجية وفسولوجية وغيرها، ثبتت صحتها وطبقت في مجالات مختلفة منها الإدراك البصري. وبناء على ما قدمته مدرسة الجشئالت من نظريات ثبت أن هناك عمليات عديدة ومركبة يجريها المخ البشري بعد أن تسجل صور المرنثات على شبكة العين، وهي عمليات تطور المعلومات التي تستقبلها العين وفقاً لهوى المخ البشري. وقد استفاد العديد من الفنانين التشكيليين، من أتباع هذه النظريات في تطبيقها على رسومات هندسية ولوحات فنية في غاية الدقة والروعة، تعرف باللغة الفنية باسم فن الخداع البصري (The art of optical illusion).

ففي عام ١٩٩١، استطاع عالم النفس الياباني "اكيوشي كيتاوكا" أن يحصل على دكتوراه في فن الوهم

## لاعب الخفة والخدع البصرية

يعمل لاعب الخدع البصرية على العديد من الحركات والصور التي تعمل على تسليية الجماهير، وجذب انتباههم وانبهارهم، وكذلك على الأسرار الموجودة في عقول المتجمهرين والدخول في أعماقهم لمعرفة تفكيرهم لشدة اهتمامهم إليه وجذبهم له. وما نراه على المسارح أو التلفاز من الحركات وألعاب الخفة، هو وهم وخيال بعيد كل البعد عن الحقيقة يتكرها اللاعبون المحترفون لإدهاش الجمهور فقط، والترفيه عنهم وتسليتهم، ومن ثم كسب الأموال منهم لمشاهدتهم أشياء وهمية خيالية.

وقد أثبت العلماء أن ما تدركه بصرياً، هو فقط ما يستسيغه المخ البشري، وإذا لم يكن الشكل قابلاً لأن يستسيغه المخ ويفهمه أو يدركه، فلن تقبله مشاعرنا، ولن يترك في النفس أثراً. وهكذا نرى أن الشكل الأبسط، يكون أكثر تجاوباً مع العقل، فهو على الأقل لا يكلفه جهداً للتعرف عليه.

إذن، هناك اختلافات ظاهرة جداً - في بعض الأحيان - بين ما تراه العينان وما يراه الدماغ، فحاسة النظر لا تخبرنا دائماً بالحقيقة؛ ففي بعض الأحيان تكون العينان والدماغ ضحية لخدع بصرية، وبشكل خاص عندما نواجه صوراً مبهمه أو غامضة المعالم بطبيعة الحال، فالعينان هما مجرد وسيلة لنقل المعلومات التصويرية كما هي. المشكلة تكمن إذن في الدماغ؛ فهو الذي يقوم بمعالجة الصور وتحليلها ومحاولة فهم معانيها. فنحن جميعاً نعتقد أن عملية الإبصار هي مسألة سهلة للغاية، في حين أن عملية إدراك الصور والأجسام والألوان والحركات، هي عملية معقدة جداً. فعندما نفيق من النوم كل يوم صباحاً، ننظر في المرآة معتقدين أن ما نراه هو الصورة الواقعية لوجهنا. والحقيقة هي أن ما نراه هو صورة مقلوبة لوجهنا؛ وما نراه على الجانب الأيسر من الوجه هو في واقع الأمر على الجانب الأيمن، وهذا أمر بسيط يمكننا ربطه بالخدع البصري. ■

(\*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

أو الخدع البصري. فأثبت بالعديد من الرسومات التي تراها العين ويستقبلها العقل - مثل لوحة الطاحونة الدوارة، والأفاعي المتحركة - باستخدامه للشكل الهندسي، والسطوح واللون في تصاميمه الفنية للإيهام بالحركة. فهي في حقيقة الأمر صور ساكنة، فنحن نرى في حالة "الطاحونة الدوارة" مجموعة من الدوائر، ولم يحدث أن نظر إليها فرد، إلا ووصفها بأنها أشكال حلزونية. ويرجع هذا إلى عنصر قوي للغاية في الخدع البصري، وهو الخلفية التي يستخدمها الفنان، بحيث تفقد الدوائر خاصيتها الأزلية، فتراها العين ويترجمها العقل بأنها تستدير بلا بداية أو نهاية.

وكذا في عمل آخر للفنان "مايكل باتش" نجد رسماً لعدة خطوط رأسية متساوية في الحجم والمساحة بينهم رسمت باللونين الأبيض والأسود، وقضيبين بلونين مختلفين رسموا أفقياً فوق الخطوط. ومن المذهل أنه عندما تشاهد العين القضيبين تشاهدتهما يتحركان الواحد تلو الآخر، ولكن إذا حركنا الخلفية بعيداً نجد القضيبين ساكنين بدون حركة.

كما أن الخدع البصري يعتمد على الأشكال المضافة إلى العنصر الأساسي، فعلى سبيل المثال؛ لو أخذنا دائرتين متساويتين تماماً في الحجم، وأحطنا دائرة منهم بعدة دوائر أصغر حجماً، والدائرة الأخرى أحطانها بعدة دوائر أكبر حجماً، ستبدو الأولى للعين وكأنها أكبر حجماً من الأخيرة، كما نراها في أعمال الفنان المعروف أول من ابتدع فن الخدع البصري الفرنسي والهنغاري الأصل "فيكتور فازاريلي" (١٩٠٨ - ١٩٩٧)، وتبعه في مدرسته فانون آخرون أهمهم البريطانية "بريجيت رايلي"، ونجد العديد من أعماله الفنية في مختلف المتاحف العالمية.

ومن هنا نجد دور العلم في تطوير الفنون البصرية، فقد خدمت مدرسة الجشالت بمختلف بحوثها العلمية التي اهتمت بدراسة "الكل" قبيل دراسة "الجزء"، جميع أفرع الفنون البصرية، ومنها ما يخص فنون الكرتون المتحرك، وما يخص كل ما نشاهده من أفلام الخيال العلمي، ومجسمات أو تصاميم الديكور وغيرها.



## الأمن الفكري أمان المجتمع واستقرار الحياة

إن من أجلى مظاهر التكريم الإلهي لبني البشر، أن ميزهم عن باقي المخلوقات بالعقل والتفكير وإدراك كل شي بالمنطق؛ حيث يقول الحق سبحانه ممتناً على بني آدم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

ولما للتفكير والتفكير في كل جوانب الحياة من أهمية في حياة الفرد، فقد ورد ذكره والحض عليه في القرآن الكريم في مواضع كثيرة؛ فقد حث الله تعالى الإنسان على التفكير، والنظر في مظاهر الكون، وتأمل بدائع صنع الله المختلفة، يقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ٢٠). وقد نبه الحق ﷻ في كتابه على أهمية التفكير في حياة الفرد، وأعلى من شأن العاقل، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩).

ولقد حط القرآن الكريم من شأن من لا يستخدم عقله وتفكيره، بأن جعله أدنى درجة من الحيوان، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: ٢٢). ويتضح لكل ناظر في آيات الذكر الحكيم، مدى الحرص الكبير الموجود في القرآن الكريم على دعوة الناس إلى العقل والتفكير؛ فقد وردت آيات كثيرة تتضمن عبارات الحض على

التعقل والتدبر وإعمال الفكر.

**الأفكار هي التي تنتج، ومن خلال هذه الإنتاجية  
تبنى المناهج وتصنع المسيرة نحو المستقبل،  
وتنتج الاستقلالية والمناعة الأتوماتيكية،  
وتحفظ الهوية الأفكار التي ننتجها نحن  
ونأخذ بها براءة اختراع هي في الحقيقة قوة  
لا تهزم وحصن لا يهدم.**

إنها الدعوة الصريحة لإعمال العقل  
بوعبي، والتفكير بعمق والتدبر مع  
الاعتبار، لأن التعقل السليم يقود إلى  
فكر سليم، ومؤداه حياة راقية وسلوك  
قويم ومجتمع مستقر. وإن الفكر العقيم  
الضال، لا يقود إلا إلى الحياة المضطربة؛

إذ يعتبر القاعدة التي تؤسس عليها كل أنواع الانحرافات السلوكية في المجتمع، لذلك لا بد من العمل  
على موضوع الأمن الفكري، لأن الحاجة للأمن في المجتمع ضرورة حياتية في كل الميادين، وفقدانه  
يحدث الخلل في كل سبل الحياة، فالحاجة إلى الأمن الفكري حاجة فطرية فردية ومجتمعية.

فمن المستحيل استقرار الحياة الطبيعية إلا إذا استقر الإنسان نفسياً وكان آمناً على نفسه. ولا  
ريب أن موضوع الأمن الفكري يجب أن ينال العناية التامة، ويبدل من أجله كل الجهد لما له من  
أهمية كبيرة، فحيث كان وجد الاستقرار النفسي للفرد والأمن للمجتمع، وحيث فقد حل الخطر.  
ونستطيع أن نعتبر أن من أعظم الضرورات البشرية موضوع الأمن، لذلك جعله الله ثواب من صدق  
قلبه به، وآمن بما أمر، حيث يقول في محكم تنزيله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ  
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢). إنه الأمن على النفس والدين والعرض والمال، ثم بعد ذلك الهداية  
التي ترفع من قدرهم، وتعلي من شأنهم.

ومفهوم الأمن الفكري، لو بحثنا عنه فيما مضى من تاريخنا الإسلامي، فسرى أنه موجود بمعناه  
العام ومفهومه العام الشامل لا بهذا اللفظ، حيث إن من مقاصد التشريع الإسلامي حفظ الكليات  
الخمسة "الدين" و"النفس" و"العقل" و"المال" و"العرض". وبناءً على هذه المقاصد، وما يترتب من  
الحفاظ عليها، نجد أنها كلها ترتبط بالأمن بشكل عام.

وحفظ الضروريات "الكليات الخمس" وحمايتها لا يتم بغير الأمن، ولو زال الأمن في أي مجتمع  
لأصبح حفظ هذه الضروريات مستحيلًا. فالأمن الفكري منشؤه المعتقد السليم، ومؤداه العملي  
السلوك السوي والتعامل الإيجابي.

وتظهر أهمية الأمن الفكري من حيث إنه واجب المرحلة، والذي يجب اعتباره واستصحابه في  
كافة مؤسساتنا التربوية والتعليمية والدينية والمجتمعية، حيث يتفق الكثير من الباحثين في مجالات  
الأمن المتعددة، أن ظهور الإرهاب بكافة أشكاله يعود في معظمه إلى عدد من العوامل، منها ضعف  
الوازع الديني، وتلاشي القيم الأخلاقية، وفقدان العدالة الاجتماعية، وسيطرة اقتصاديات الدول الغربية  
على الأسواق الاقتصادية وغيرها.. أدت في مجملها إلى نشأة العديد من الأفكار المنحرفة، مما كان  
سبباً في إدراك أهمية الأمن الفكري، ودوره في تحقيق الأمن في جميع المجالات<sup>(١)</sup>.

إن الأمن الفكري يبقى اليوم وكل يوم مطلباً شرعياً لكل الأفراد والمجتمعات، إذ هو صمام الأمان  
إزاء ما يعيشه المجتمع من عنف وإرهاب، وانتهاك لأبسط الحقوق الإنسانية. والواجب يحتم اليوم  
-أكثر من أي وقت مضى- العمل على تجنيب المجتمع كل محاولات الانزلاق في متاهات الفكر  
المنحرف<sup>(٢)</sup>.

ولعل أهمية الفكر الأمن تتضح في نقاط مهمة، حيث إنه يساهم في حماية هوية الأمة الإسلامية

وعقيدتها، وهو الجدار الحامي من الانحراف الفكري، ويدعم تحصين الشباب في مواجهة دعاة الغلو والتطرف؛ لذلك فإن تحقيق الأمن الفكري يؤدي إلى تحقيق أنواع الأمن الأخرى.

### أسس تحقيق الأمن الفكري

إن أسس تحقيق الأمن الفكري مرتبط بجهات عدة يقع على عاتقها تعزيزه، إذ هو مسؤولية الجميع حيث لكل دور مهم في البناء الفكري للفرد، وأهم هذه الجهات المنوط بها عملية البناء الفكري، هي الأسرة والمؤسسات الدينية والمؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام والهيئات الاقتصادية والمجتمعية<sup>(٣)</sup>.

#### ١- الأسرة

الأسرة هي مسرح التفاعل الأول، وهي المنوط بها الدور الحيوي في تنشئة الأبناء ونقل ثقافة المجتمع إليهم، وذلك يعطيها الفرصة الكبرى لترسيخ المبادئ السليمة التي تتفق مع الشريعة الإسلامية، وتعالج الانحرافات السلوكية في مهدها، وتقوّم الاعوجاج في بواكيره، وخصوصاً أنها أول المحاضن التي تتلقف الطفل بعد ولادته ويقضي فيها أولى سنوات عمره، ويكون كصفحة بيضاء تقبل ما يدون عليها. ولا ريب أن الأسرة السوية، رباطها الرحمة والمودة اللذان ينغرسان في نفوس الأبناء، مما ينتج عنه عنصر بشري قادر على أن يخدم نفسه وأسرته ووطنه بفكر راق بعيد عن الانحراف.

#### ٢- المؤسسات الدينية على اختلاف أنواعها

لا ينكر ما للمؤسسات الدينية عامة والمساجد خاصة، من دور كبير يساهم في تقويم سلوك الأجيال عبر تصحيح المفاهيم المغلوطة، وإعادة البناء الفكري على أسس سليمة، مما يدعم تحقيق الأمن الفكري، وهذا منوط بالعلماء الحقيقيين المؤهلين بالعلم، وبفهم للواقع ومعرفة تامة بمقاصد الشريعة. فهم المسؤولون في الفتوى وإرشاد الشباب وتوجيههم، باعتبارهم يمثلون المؤسسات الشرعية التي تتعامل مباشرة مع أفكار المجتمع التي يمكن أن تصيب بعضاً منه بمرض الانحراف والغلو والتطرف. فالتربية الأمنية الدينية تقوم بترسيخ القيم الإسلامية والقيم الاجتماعية المتوائمة معها، وحماية النشء من التيارات السلبية الهدامة.

#### ٣- المؤسسات التعليمية

تعتبر المؤسسات التعليمية في كافة مراحلها، من أهم الركائز الاجتماعية في عملية بناء الفكر، حيث يجب أن يتم عبر إعداد المناهج الوسطية المتفرعة عن الكتاب والسنة، والتي تدعو إلى التفكير السليم. كما أن تأهيل المعلمين تربوياً وفكرياً يعالج الأفكار المنحرفة، ويحد من انتشارها، ويساهم في إعادة البناء الفكري الصحيح المؤسس على قواعد الإيمان؛ لذلك ينبغي الاهتمام التام بالمؤسسات التعليمية لمواجهة الأفكار الخطرة، وتفعيل البرامج التي تشمل محاور السياسات التعليمية العامة، والتربية الوطنية والمناهج، وإعداد المعلمين وإمدادهم بالمهارات الفنية لتوجيه الطلاب، والعمل الاجتماعي في المؤسسة والأنشطة الطلابية<sup>(٤)</sup>.

#### ٤- المؤسسات الإعلامية والثقافية

معلوم أن وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، باتت في عالم اليوم تلعب دوراً كبيراً في تشكيل فكر الأجيال سلبيًا أو إيجابيًا، لذلك عليها مسؤوليات جسام في توجيه الناشئة وتقويم الفكر؛

لأن الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، هو في متناول عامة المجتمع، ويقع دور كبير على القائمين عليه، لذلك يجب مراعاة أن يكونوا من المؤهلين فكرياً، ليساهموا في اختصار الجهد والوقت في عملية التغيير للأفكار الشاذة وتعزيز الفكر الصحيح، من خلال إعداد برامج إعلامية فكرية تصحيحية هادفة، وتبسيط الضوء على القضايا الشائكة مثار الشبهات، وتصحيح ما فيها وإظهار حقيقتها بطرق شرعية، وإعداد الخطط الإعلامية المتكاملة، وإشراك المفكرين والعلماء والأدباء والخبراء في المجال الأمني للمشاركة في تلك الجهود.

## ٥- المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية

ينبغي على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية المشاركة في عملية البناء الفكري الصحيح للناشئة، والمساهمة الفعالة في تحقيق الأمن الفكري للمجتمع.. ويكون ذلك بالتعاون الجاد في القضاء على البطالة وملء فراغ الشباب، لأن البطالة والفراغ من أكبر أسباب التطرف والانجرار وراء الأفكار المنحرفة.

ولقد بات من الضروري العمل على صناعة المناعة في فكر شبابنا وجيل الأمة بشكل عام، فكما أن التيارات المنحرفة تقدم إلينا نماذج فكرية مصنعة وجاهزة ومغلقة بما يغري الشباب ويجذب أصحاب الهوى، كذلك يتحتم علينا مواجهة هذه التيارات بصناعة فكرية خاصة بنا، منسجمة مع قيمنا وحضارتنا على أن يتم تضمينها في الإعلام والمؤسسات التعليمية والتربوية وكافة المؤسسات العامة التي تدير حياتنا، لتكون بمثابة "تطعيم" لفكرنا قبل أن تغزوه فيروسات التطرف المصنعة مخبرياً من قبل جنود الخفاء من أعداء الأمة والمتربصين بها.

فالأفكار هي التي تنتج، ومن خلال هذه الإنتاجية تبنى المناهج وتصنع المسيرة نحو المستقبل، وتنتج الاستقلالية والمناعة الأتوماتيكية، وتحفظ الهوية الأفكار التي نتجها نحن ونأخذ بها براءة اختراع هي في الحقيقة قوة لا تهزم وحصن لا يهدم. ■

(٩) كاتب وباحث سوري.

الهوامش

(١) الأمن الفكري المفهوم التطورات الإشكالات، إبراهيم بن محمد علي الفقي، جامعة الملك سعود، معهد الدراسات الدبلوماسية، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري المفاهيم والتحديات، في الفترة من ٢٢-٢٥ جمادى الأولى، ١٤٣٠هـ، ص: ٣.

(٢) دور التربية في تعزيز الأمن الفكري، أصلية سعيد السعدية، سلطنة عمان، رسالة التربية، العدد: ١٩، ٢٠٠٨م، ص: ١٢٤.

(٣) ينظر: - الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والفكري، محمد شحات الخطيب، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٦م.

- التنشئة ودور الأسرة في الوقاية من الانحراف، حسين علي الرفاعي، الشارقة، مجلة الفكر الشرطي، المجلد ٣، العدد: ٤، ١٩٩٥م.

- الإعلام الأمني والأمن الإعلامي، بركة زامل الحوشان، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٤م.

- دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحث مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، ٢٠٠٤م.

(٤) دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية في مكافحة الإرهاب، محمد فتحي عيد، المرجع السابق، ص: ١٤٠.

# الطفل والقراءة الإبداعية

درجت معظم الدول على تحديد عمر زمني معين للسماح للأطفال ببداية برامج قرائية نظامية؛ ففي روسيا الاتحادية والدول الإسكندنافية -مثلاً- يبدأ تدريس القراءة في سن السابعة، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم الدول الأوروبية يبدأ في السادسة، أما في إنجلترا وإسكتلندا فيسمح للأطفال بالانتظام في البرامج القرائية في سن الخامسة، وفي بعض الأحيان في الرابعة.

الكتاب المقدم للطفل عند هذه المراحل العمرية، يمكن أن يكون أداة هامة من أدوات الترفيه والتثقيف التي يمكن -لو أحسن إعدادها- أن تسهم مساهمة فعالة في تفتح عقل الطفل الصغير على العالم، وتنمية الميول القرائية لديه، وجعله ينظر للكتاب -بشكل عام- على أنه شيء محبب قادر على تسليته وإمتاعه وإفادته.

ولا شك أن التقدم والتطور التكنولوجي والعلمي المعاصر، لعب دورًا كبيرًا في إعداد وإخراج وتصميم كتب الأطفال بشكل عام وكتب الأطفال سن ما قبل المدرسة على وجه الخصوص، وبالتالي أدى إلى ظهور أنواع جديدة تمامًا من الكتب لم تكن معروفة قبل ذلك؛ حيث أصبح يتوفر اليوم العديد من الأنواع المختلفة ذات المستوى المتميز





**الإبداع في صميمه تجاوز المألوف، وهذا التجاوز لا يتحقق إلا من خلال مسانيرة التيارات الكوكبية التي تنشغل بتعليم الطفل، باعتبارها حجر الزاوية في المجتمع الكوكبي الجديد.**

حذاء

### الأسرة وتنمية الميول القرائية

وقد بينت الدراسات والأبحاث الحديثة، أن الدور الأساس لغرس عادة القراءة وتنمية الميول القرائية للأطفال، يقع على عاتق الأسرة إلى جانب ما يمكن أن تقوم به كل من المدرسة والمكتبة من أدوار مكملة للمحافظة على هذه العادة وتنميتها. ودلت عدة دراسات على الدور الهام للأسرة، وبعد ذلك الحضانة وروضة الأطفال، في إعداد الطفل وتهيئته للقراءة وزيادة استعدادها لها قبل دخول المدرسة. فمثل هذه الخبرات الثرية التي يمارسها الطفل بمساعدة أمه كالتلوين والرسم، واستخدام القلم والورق، وتصفح الكتب ومتابعة القصة عن طريق الكتاب المصور مع رواية الأم لها، من شأنها أن تساعد على تكوين اتجاه إيجابي لدى الطفل نحو الكتاب والقراءة.

### ثقافة القراءة والكتابة

إن الأطفال في كل أمة، يشكلون نصف الحاضر وكل المستقبل. والأمة التي تستطيع أن تبني أطفالها وفق أهدافها وتطلعاتها، هي الأمة التي تستطيع أن تحمي وجودها وتتحكم بمستقبلها. ويسوق الدكتور "زكي نجيب محمود" في كتابه "هذا العصر وثقافته"، تحليلاً لبحث يؤكد هذا المعنى للباحث الأمريكي "ماكيلاند" أستاذ العلاقات الاجتماعية بجامعة "هارفارد"، الذي قام بدراسة عوامل التقدم وعوامل التخلف لدى الشعوب والحضارات المختلفة، وتوصل إلى نتائج مهمة.

من هذه النتائج؛ أن ثقافة الطفل التي تبني على قدرته على القراءة الصحيحة والعميقة، هي أساس البناء الثقافي للإنسان المستقبل، وتهيئته إلى حد بعيد لأداء دوره في المجتمع.. ويقدر ما تكون هذه الثقافة سليمة وإيجابية وبانية، بقدر ما يكون الفرد في

والراقي من كتب الأطفال، ولعبيهم عند مختلف مراحل نموهم.

ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسات والبحوث في هذا المجال، أن استعداد الطفل للقراءة لا يعتمد على عامل واحد فقط، وإنما على عوامل كثيرة متداخلة ومتشابكة، منها النضج العقلي والإدراكي، والخبرة الشخصية، والتميز السمعي والبصري، والنضج اللغوي، والنضج الحسي، والصحة والخلو من الاضطرابات العصبية، والاهتمام والرغبة في القراءة، والنضج الاجتماعي والانفعالي.

### الأطفال والميول القرائية

يؤمن معظم المربين والمتخصصين في مجال ثقافة الطفل، بأن الميول القرائية للأطفال تنف في القمة من المعايير التي حددت ميولهم لما يقرأون. وقد كشفت الدراسات التي أجريت حول الجوانب المختلفة للميول القرائية للأطفال، أنهم يعرفون إلى حد بعيد ما يريدون أن يقرأوه، وأن لديهم شعوراً محدداً بالنسبة للمواد المقروءة في أذهانهم بمواصفات خاصة ومعايير للحكم عليها. كما دلت تلك الدراسات على أن حجم قراءات الأطفال لمواد وموضوعات يميل لها ويُقبل عليها، أصبحت شبه مؤكدة. بالإضافة إلى ذلك، يجب الاعتماد على ميول الأطفال القرائية عند اختيار طرق تقديم المواد لهم، سواء أكانت مواد تربوية ترغب في تقديمها لهم، أم مواد ترفيهية تعد لهم، بحيث تقدم هذه المواد للأطفال في القوالب والصيغ والطرق التي يفضلونها، والتي تجذب انتباههم لتلك المواد وتحافظ عليها.

ويكفي تقديم مثال واحد لتوضيح المقصود؛ فقد كشفت الميول القرائية للأطفال عند مختلف الأعمار خلال مرحلة التعليم الأساسي، أن هؤلاء الأطفال يميلون للكتب القصصية ويفضلونها على غيرها من المواد المقروءة. نتيجة لذلك ينصح بإعداد كافة المواد التربوية التي نرغب في تقديمها للأطفال، كالموضوعات التاريخية والدينية والاجتماعية، وحتى العلمية في هذا القالب والشكل القصصي المفضل لهم.

المستقبل إيجابياً وصالحاً ومنتجاً وسوياً.

وتخطيط ثقافة الطفل اعتماداً على قراءة إبداعية واسعة، وتوفير الوسائل والإمكانات اللازمة لتحقيق أهداف الخطط على المستوى الوطني والقومي - ومسؤوليته تتحملها كافة الأجهزة الحكومية والأهلية - وبالقدر الذي تستحق فيه هذه، وتستوفي قيمها وأساليبها، يصبح التكوين الثقافي للطفل منطلقاً لإيجاد الطاقات المبدعة، وإثراء حياته وحياة مجتمعه. وفي ضوء هذا، تصبح أهداف ثقافة الطفل في مكوناتها الفردية والاجتماعية، غاية من غايات التخطيط والبرامج الوطنية. كما يصبح التنسيق بين الأجهزة المختلفة - حكومية وأهلية - ضرورة حتمية لبلوغ هذه الأهداف في إطار خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المنطقة العربية.

### القراءة الإبداعية

يفتقر المناخ التعليمي العربي إلى العناصر الأساسية اللازمة لتنمية القدرات الإبداعية عند الطفل، وتدل دراسة أجريت في مصر، أن من أهم معوقات التفكير الإبداعي في التعليم، قلة الإمكانيات المتاحة للعملية التعليمية - مثل ارتفاع كثافة الطلاب في الفصل الواحد - وقلة الوسائل التعليمية والأجهزة العلمية، وكذلك الطابع التقليدي للتدريس، وعدم الاستقلال الذاتي للتلميذ، وبناء المناهج من حيث طولها واعتمادها على الحفظ والتلقين، وبعدها عن التفكير والملاحظة، وقصور إعداد المعلم وتدريبه واتجاهه الخاطئ نحو التفكير الإبداعي ونحو مهنته، والروتين الممل الذي يسود العملية التعليمية.. إن الإبداع قدرة مكتسبة إلى حد كبير. وقد يكون الذكاء في أساسه رهناً بعوامل وراثية و خلقية وولادية، ثم بعد ذلك تدعمه عوامل مكتسبة. أما الإبداع فإنه غير الذكاء؛ إنه ملكة مغايرة مضافة إلى الذكاء، متعددة المحتويات، بدءاً من الإبداع التعبيري الذي يتميز بتلقائية التعبير عند الطفل في بدء حياته، وتسمو إلى ما يسمى الإبداع الطارئ، حيث يتم اكتشاف مبدأ جديد أو فرض علمي جديد على أعلى مستوى من التجريد.

لماذا يبذل وفيما يبذل، وكيف يخدم حياة الإنسان

والمجتمع، وأي إنسان وأي مجتمع يستهدفه؟ معنى هذا أن الإنسان المبدع، لن تكتمل مقومات إبداعه كقوة حفازة للتقدم الإنساني والاجتماعي، ما لم تتوفر هذه الرؤية المتكاملة، ويتوفر له أيضاً وعي بذاته كعنصر اجتماعي تاريخي، أي كفرد له انتماؤه إلى مجتمع محدد له مشكلاته وتناقضاته وطموحاته وتطلعاته، وله تاريخ وحضارة يعي عناصرها، ويدرك ما فيهما من سلبات وإيجابيات، حتى يكون إبداعه حلقة ضمن سلسلة تاريخية لحركة التقدم الإنساني والاجتماعي.

وينصح علماء المستقبل بإعداد إنسان الغد، وثقافته ثقافة مستقبلية، وتطوير قدراته الإبداعية للتكيف مع عالم المستقبل سريع التغير، حتى تتناغم التغيرات في بنائه النفسي والعقلي مع التغيرات الخارجية، وإلا فإنه سوف يشعر بالاعتراب عن هذا العالم الجديد، لأن الفجوة الثقافية سوف تزداد بينهما، مما يجعله يواجه ما أسماه المفكر "توفلر" بـ"صدمة المستقبل".

الإبداع في صميمه تجاوز المؤلف، وهذا التجاوز لا يتحقق إلا من خلال مساهمة التيارات الكوكبية التي تنشغل - في كثير من الأحيان - بتعليم الطفل باعتباره حجر الزاوية في المجتمع الكوكبي الجديد، حيث الأطفال فيه هم قادة المستقبل في إحداث التغيير المطلوب، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق تعليمه وتدريبه على إنتاج المعرفة بدلاً من تدريبه على أن يكون مستهلكاً للمعرفة.

وإنتاج المعرفة يحتاج إلى إطلاق العنان لخيال أطفالنا، وقد أصاب "أينشتاين" عندما قال: "العلم ثمرة الخيال". وما نظرية النسبية إلا نتاجاً لخيال خصب ممتلئ بالقدرة والإمكانية. وعندما نسمح لأطفالنا بالدهشة التي هي جوهر الإبداع، ولا نقهر في داخلهم روح التساؤل، ولا نضع حدوداً لتعطشهم المعرفي، ولا نحبط داخلهم أي نزوع صوب البحث والتنقيب والاستكشاف.. عندما نفعل ذلك، نكون قد بدأنا بوضع الجذور الجينية لجيل بمقدوره أن يحدث التغيير الإبداعي المطلوب، ولا يتم ذلك إلا بالقراءة الواعية والعميقة أو القراءة الإبداعية.

ولذلك يجب تشجيع الأطفال على فك رموز

الكتب المصورة ومحاولة فهمها، وذلك يتم عن طريق تشجيع الأطفال منذ الصغر على حب القراءة، لأن ذلك ضرورة لا مناص منها لإيجاد طفل مولع بالمعرفة.

### دور اللغة في الإبداع

تعتبر اللغة وسيلة تعتمد في تكوينها على المعاني الرمزية، لذلك فإن اللغة ليست مجرد كلام، بل وسيلة لتحديد العالم الخاص بكل شخص والتعبير عنه، كما أنها وسيلة للتعبير عن الحقيقة المراد التعبير عنها.

ثم إن القراءة تنمي إحساس الطفل باللغة وتكسبه القدرة على التعبير عن نفسه، وهذه الظاهرة إيجابية من شأنها تنمية قدرة الطفل على البحث عن ذاته، وخلق إحساس بالرغبة في التعرف على الآخرين وكيفية التعامل معهم. ومن شأن ذلك، إكساب الطفل مهارة إقامة حوار مع العالم الخارجي بيسر وسهولة. وفي إقامة هذا الحوار مع العالم ومع الآخرين، تتقوى دعائم ثقة الطفل بنفسه، ويشعر بذاته كهوية فريدة، ويتعلم كيف يكون عفويًا وتلقائيًا في التعبير عن نفسه.

ولا ننسى أن الكتاب الجيد للطفل، هو الذي ينمي سلوكه الاجتماعي، ويضع له الخطط بالنسبة للحياة والمستقبل، ويزيده من المعرفة والعلم، ومن استمتاعه بهذا العالم، ويضعه على جناح واحد مع عالم الكبار عن طريق اللعب والتخيل، وينمي لديه القدرة على التخيل، ويوسع مداركه اللغوية، ويمكنه من إثارة المشكلات التي تبحث عن حلول غير تقليدية.

ونتيجة لهذا، بدأت حركة نشيطة لمصلحة التعلم المبكر للقراءة، وأخذت في الانتشار والانتعاش لتشمل الكثير من البلدان. وتؤكد النتائج المستخلصة من كل تلك التجارب، أن جميع الأطفال الذين هم دون السادسة من العمر -أيًا كان وسطهم الاجتماعي أو الاقتصادي أو لغتهم الأم- يريدون بل يستطيعون تعلم القراءة إذا ما وُضعوا في حالة تعلم في بيئة غنية وحافزة.

### القراءة الإبداعية والتدرج في مراتب العقل

نحن في حاجة إلى القراءة الإبداعية، لا لنجعل القارئ مستوعبًا لما يقرأ أو ناقدًا، بل إنها تتعدى ذلك إلى التعمق

في النص المقروء والتوصل إلى علاقات جديدة، وتوليد فكر جديد، وحلول متنوعة للمشكلات، وتطبيق لهذه الحلول.. والمقروء يجب أن يكون مصدرًا للتفكير، والتغلب على ضغوط الحياة.. والقراءة هنا لتركيب المعلومات والوصول إلى استنتاجات حقيقية عن الواقع. وينبغي على القراءة الإبداعية أن تساعد بشكل جوهري على التعلم الذاتي، فالتلقين يجعل الطفل كائنًا انفعاليًا معتمدًا كل الاعتماد على المعلم والمنهج والكتاب، في حين أن المطلوب هو أن يتدرج في مراتب العقل؛ أي التعلم مستعينًا بهذه الأدوات كلها دون أن يكتفي بها أو يستسلم إليها. وقد صدق من قال بأن المستقبل لن يكون لمن يجهل القراءة والكتابة، بل من لم يحصل القدرة على أن يعلم نفسه. وإن هذه القدرة تنطوي على حب الاستطلاع، والسعي والممارسة والمعاناة، وتنميتها تتأتى بتفويض هذه المواهب وإخصابها، وهي في مقدمة ما يجب أن يتصدر له التعليم الصحيح

ومن هنا، فالقراءة الإبداعية تنمية للفرد، وتوسيع لقدرته العقلية وتفكيره.. فالأفكار الجديدة التي يحصل عليها القارئ، تساعد على توليد أفكار مبدعة. فهو ليس مستقبلًا للمعلومات بقدر ما هو باحث ومجرب ومركّب، لديه القدرة على نقد ما يقرأ وتقويمه. إنه قارئ مفكر يكشف التناقض في المعلومات والأسباب الكامنة خلف التناقض، ويصل إلى استنتاجات صحيحة، ويختار المناسب منها في حالة من التطور الدائم المفيد.. إنه قادر على التوقع والحدس، قادر على تشكيل المادة المقروءة، قادر على تشكيل مادة أكثر ثراء من تلك التي كتبها المؤلف. والقراءة الإبداعية تجعل القارئ يحس بالعالم المحيط به إحساسًا فريدًا، فهو مستغرق في قراءته مشارك الأحياء والجمادات في أحاسيسها ومشاعرها، أو هكذا يراها برؤى خاصة؛ يرى بأذنيه، ويسمع بعينيه، ويدرك بقلبه، ويحس بعقله.. فالتخيل الذي يعيشه أثناء فترة القراءة، يجعل العالم وأفعاله شيئًا حقيقيًا وفريدًا. ■

(\*) كاتب وباحث وأكاديمي / مصر.



## ما قبل التربية

من الضروري الاتفاق على مبادئ مهمة قبل الإقدام على مشروع الزواج بشكل خاص، أو التربية وبناء الشخصية بشكل عام، بما في ذلك التوجيه والإرشاد النفسي والتأديب والمتابعة للرضع والأطفال والمراهقين، بل وحتى البالغين الذين يحتاجون إلى دعم نفسي أو توجيه مجتمعي. وقد اخترت سبع نقاط محورية أدندن حولها كمبادئ عامة لا بد من إدراكها جيداً في سبيل الوصول إلى مجتمع ناجح وناضج ومنتج ومتحمل للمسؤولية، وهي على النحو التالي:



### ١- التحلي بالأخلاق العالية

يقول نبينا محمد ﷺ: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (رواه البخاري)، فالأصل في الرسالة المحمدية هو الأخلاق، وما لم يبن أي تعامل على الأخلاق العالية فلن ينجح، ولذا، فإذا أراد الأب لابنه أن يكون صادقاً يجب عليه أن يتحلى

لا بد من تخطيط دقيق لجميع الخطوات، بدءاً بفكرة الزواج، واختيار الشريك المناسب الذي يتشاطر مع شريكه هذه القناعات، ومروراً بما يجب أن يكون عليه حال الرضيع وكيفية مراعاته في طفولته وترتيبه في مراقبته.

حذاء

وإهمالهم للمعنى ورفضهم لدعوة الحق، سحقوا أنفسهم بعد أن ظنوا أن المادية تكفل ديمومتهم. وكذلك عندما تشعر الأمم بخواء روحي، فتبادر إلى جبر ذلك النقص عن طريق الاستزادة من الجانب المادي أكثر فأكثر، وهي بهذه الحالة لا تزيد إلا من حظ سقوطها المدوي.. وفي هذا الصدد قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (الفصل: ٧٧).

إن هذا الكون محكوم بسنن كونية جبرية؛ فإذا وضعت يدك على النار فستحترق، وإذا ألقيت بنفسك في البحر دون معرفة بالسباحة فستغرق، ولن ترحمك الطبيعة، وكذلك فإن أسباباً للنجاح والنهضة المجتمعية لا بد من مراعاتها حتى يتسنى للمجتمع النجاح والانبعاث من جديد. فإن أخذ بها نجح كما نجحت أمم من قبله، وإن لم يفعل فهو يأخذ بأسباب الهلاك والسقوط والاضمحلال. فإذا ما أردنا تنشئة جيل ناضج، فعلياً أن نأخذ بأسباب ذلك ونتعامل مع السنن الكونية وفقاً لمنظومة السبب والنتيجة، مع العمل الدؤوب دون تعويل على الحظ أو الصدفة أو الاستثناءات القدرية.

### ٣- الحذر من تقليد الأمم الأخرى

عندما تتبعد الأمة عن جذورها وتنسلخ منها القيم والمبادئ، تشعر بخواء روحي ومعنوي، وبالتالي تقوم بالبحث عن ملء لهذا الخواء باتباع الأمم الأخرى، وهذا ما حذرنا منه النبي ﷺ عندما قال: "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشْبِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُبْحَرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ" (متفق عليه)، وهو عندما يقص علينا ما سيحدث في آخر الزمان، لا يحثنا على فعل ذلك، بل ينهانا ويحذرنا، فإذا انسلخنا عن قيمنا وأخلاقيتنا

بالصدق قولاً وعملاً؛ حتى يكتسب منه ابنه الصدق ويتشرب به، وإذا أراد الأبوان من ابنهما أن يكون هادئاً متزناً عقلياً، فعليهما أن يكونا هكذا مع ابنهما بالفعل، ليكتسب الطفل ذلك بالمشاهدة والحس والتعايش.. وهكذا باقي الخصال الحميدة والأخلاقيات المجتمعية.

### ٢- مطالعة أسباب انهيار الأمم السابقة

على الأبوين إذا أرادوا نهضة الأمة أن يعرفوا أسباب انهيار الأمم السابقة، فلعل أمة اندثرت سبب خاص في الانهيار، ومعظم الانهيارات ترجع إلى قارض أخلاقي، وهذه القوارض الأخلاقية ترجع بصبغتها العامة إلى طيش الشباب أو استهتارهم، أو الرغبة في إحياء المشاعر البهيمية، أو الانغماس في الشهوات، وابتغاء الدنيا وجعلها هدفاً أسمى من الأهداف، وانجرار كل شيء إلى المادة.. وهنا لا بد لنا من توضيح سريع؛ فالحياة فيها جانب مادي يمثله الجسد وجانب معنوي يمثله الروح، فإذا ما أعطي الجانب المادي أكبر من حجمه وأغفل الجانب المعنوي، فالنتيجة الحتمية لذلك هي الفشل المحقق وسقوط الأمة، وكذلك العكس.

والشواهد على ذلك من التاريخ كثيرة.. على سبيل المثال: فقصور الأندلس ما زالت في غرناطة وقرطبة وإشبيلية راسخة إلى الآن، وعلياً أن نفهم منها هذا الدرس التاريخي؛ فبعد أن ركن المسلمون إلى الدنيا وبنوا هناك حضارة أبهرت العيون في عصرها؛ انهار كل شيء وانقلب رأساً على عقب، وانتهى الأمر إلى خروج المسلمين من هذه الأراضي مع الأسف. وما ذاك إلا لأنهم ركنوا إلى الدنيا وأخلدوا إلى الدعة والخمول، واهتموا بالملذات والمتع الدنيوية، فأعطوا المادة أكبر من حجمها على حساب المعنى، إلى أن أكلهم هذا القارض الأخلاقي، وأخرجهم عن مسرح التاريخ.

وكذلك أبو عبيدة بن الجراح ﷺ عندما دخل قصور كسرى في بلاد فارس بعد أن تحطم جبروتها تحت سنابك خيله، خز ساجداً وهو يردد الآية الكريمة: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ﴾ (الدخان: ٢٥-٢٦). لقد كان الفرس آنذاك قوة عظيمة ضمن القوى العالمية، ولكن بطيشهم وجبروتهم

hiragate.com

العالية، وانقطعنا عن جذورنا التاريخية والنموذجية، وحاولنا تعويض أنفسنا عن ذلك باتباع الأمم الأخرى، فإننا بذلك نقلينا أنفسنا إلى التهلكة؛ لأن مبادئهم وأخلاقياتهم تتوافق مع جذورهم هم، ولا تتوافق مع جذورنا نحن، فإذا ما أخذنا ما عندهم ونزلناه على ما عندنا من تراكمات أخلاقية، فسنتضيع الماضي ولن نحظى بالمستقبل، وسيصدق بنا المثل العامي القائل: "ما طال بلح الشام ولا عنب اليمين".

إن السعادة والنهضة والصحة تبدأ من عودة الأمة إلى جذورها أولاً، ثم مواكبتها للتطور العلمي والحداثة والعولمة انطلاقاً من جذورها هي، واعتماداً على مبادئها هي، وليس استعارة من مبادئ الآخرين وتقليداً أعمى لهم.

#### ٤- الانطلاق من أن الإنسان مخلوق مكرم

لقد سخر الله ﷻ الكون للإنسان، فكان لا بد أن تدور الأحداث الكونية عليه، وترتبط الحضارة به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الأشراء: ٧٠)؛ فالإنسان مخلوق مكرم، وعند بناء الشخصية لا بد من استحضار هذا المعنى في كل صغيرة وكبيرة، فكل الحضارات والأنظمة السياسية والاقتصادية والثقافية على الأرض، ليست إلا فعاليات للاعتراف بقدره وقيمه، ولا قيمة لشيء الأنظمة إذا خلت من الإنسان أو لم تخدمه أو لم تنشده سعادته.

#### ٥- التخطيط السليم

لا بد من تخطيط دقيق لجميع الخطوات، بدءاً بفكرة الزواج، واختيار الشريك المناسب الذي يتشاطر مع شريكه هذه القناعات، ومروراً بما يجب أن يكون عليه حال الرضيع وكيفية مراعاته في طفولته وتربيته في مراهقته. يجب أن توضع الخطط المحكمة، للتعامل مع هذا المخلوق المكرم من قبل الله، والذي هو محور الحضارات وفيه انطوى العالم الأكبر.

#### ٦- الأولاد زينة الحياة الدنيا

قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)؛ ويُفهم من الآية أن المال والولد هما زينة الحياة الدنيا بوجهها القبيح الدنيء، وأن المال والولد إذا جردا عن الارتباط بالله وانحرفا عن سبيل مرضاته، فلا يمكن لأي منهما أن يكون مدعاةً للفخر.. فلا يكون المال أو الولد

مدعاةً للفخر إلا إذا تم توجيهه في سبيل الله، وهذا ما سيحولهما إلى الباقيات الصالحات.

#### ٧- الرحمة والإنسانية

يجب أن نتعامل مع شخصية الإنسان منذ ولادتها، بل نجهز أنفسنا لذلك حتى قبل الولادة، وأن نتعامل معها بخلق الرحمة والإنسانية. ولتقف على هذين الخلقين بشيء من الشرح الموجز.

الرحمة هي التي تفتح القلوب المقفلة، وتثبت القناعة في قاع الشخصية، وقد قال النبي ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء" (رواه البخاري)، فعلى المرين أن يتمتعوا بصفة الرحمة النابعة من الذات الإلهية، فهو الرحمن الرحيم سبحانه، وهو أرحم الراحمين.. وقد أمرنا النبي أن نتخلق بأخلاق الله، وكلما كانت الرحمة متجذرة في قلوب المرين كانت استجابة الشخصية للتوجيهات أسرع، ومن هنا قيلت الحكمة العربية: "إذا أردت أن تُطاع فأمر بالمستطاع"، أي كن رحيماً.

والخلق الثاني هو الإنسانية، فالإنسانية عبرت عنها الآية الكريمة قائلة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤)، وهذا يدعونا إلى أن نضع في أذهاننا عندما نتعامل مع الإنسان أنه مخلوقٌ على أحسن هيئة وبأتم القابليات والصفات والشمائل الخلقية، فقد أبدع الله فيه أحسن تقويم وأكمل خلقه.. فهو أحسن خلق الله باطناً وظاهراً، وجمالاً هيئة، وبديع تركيب: الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج وما طواه، واليدين وما بطشتاه، والرجلين وما احتملتاه.. ولذلك قالت الفلاسفة: إنه العالم الأصغر؛ إذ كل ما في المخلوقات جُمع فيه.

وإذا تابعنا الآية نجدها على النحو التالي: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (التين: ٥)، وهذا قد يعني أن الإنسان خلق أصلاً في أحسن تقويم، ثم سيرد إلى أسفل سافلين إن لم يحصن نفسه بالإيمان والعمل الصالح والمبادئ والأخلاقيات العالية، فإن فعل ذلك حافظ على صفة الإنسانية وال"أحسن تقويم"، وإلا فلا. ■

(\*) كاتب وباحث سوري.

## طعم النور

في المساحة الفاصلة بين الحياتين جلس باكياً، يتحدث بلهفة وشوق لحضن يضمه.. أخبره عن سوء معاملتهم له، قال كلاماً كثيراً عنهم.. لكنه أخفى عليه سبب الجرح الذي علا جبينه.. كذب حين برر هروبه من المدرسة، يتحدث في سرعة ويبيكي بوجع.. لا يعرف إذا كان قد سمع جميع كلامه أم أن صوته لم يعد مسموعاً منه سوى البكاء.. يمسح دموعه بظهر يده، وبأظافره يحاول أن يزيل الطبقة العليا من جلده:

- أتسمعتني، أم أنك وقفت في المنطقة الوسطى مثلي؟ تعبت كثيراً من البكاء، ومن المناطق البينية التي أسكنها.. حائر بعد موتك

في

يا أبتِ، لا أستطيع المواجهة، فأنا الولد الذي حظاه القدر ليكون مثلك، سعيداً بكوني أشبهك.

نطقها وهو يمسح على وجهه.. أخرج مرآة صغيرة من جيبه ونظر فيها نظرة خاطفة، ثم دسها في جيبه.. كأنه لا يريد التحقق من ملامحه، هو فقط ينظر ليؤكد لنفسه أنه ليس قبيحاً كما يظنون.. فيترك سؤالاً يتردد صداه عاليًا ولا يسمعه إلا الموتى في سكونهم:

"لماذا أنا وحدي أسمر اللون؟ أخبرتني من قبل أن الرجال لا يعيهم سوى الرجولة الناقصة، فلماذا يعيرني زملائي بلونى الداكن.. ليتك لم تمت وتركتني وحدي في هذا الظلام الذي أحاطني وصبغي بلونه.. أنا الحائر يا أبتِ، فهلأ عدت وأخذتني معك!"

يناجيه في صمته المخيف:

"لماذا يصبر الموتى على سكوتهم، ورتاح نحن بالحديث إليهم؟ لماذا دائماً يرتاح القلب لمن يبعد عنه بأميال من الصمت؟" .. يتردد صوته بين نفسه، فقد أجهده الحديدُ جهراً.

أسند رأسه على قبر أبيه، شعر وكأن يدًا تربت على كتفه غاب مع دفئها:

- اقترب.. أنا دائماً بجوارك.

- أخاف القرب! وممن أقرب؟ أنا لا أرى سوى نوراً.

- اقترب.. سترى كل شيء حين تقترب، حين تركهم جميعاً وتقترب ستتذوق طعم النور.

- النور يرى لا يتذوق.

- حين تقترب ستتذوق طعمه، في القرب تتماهى الحواس.

- من أنت؟

- أنا الذي سمعك حين بكيت أباك ولم يرد عليك، أنا من أخبرته حكايتك دون قصد، أنا هنا لأنحك نفحة من نور يبض بها قلبك، فينعكس نوره على وجهك.

- حقاً؟! ستجعلني أبيض اللون.

- لا، سأجعلك نظيف القلب نقي الروح.

- هل هذا يكفي ليحبنى الجميع؟

- هذا يكفي ليحبك الله.

اهتزت الأرض من تحته.. انتفض.. شعر وكأن جسده يمتلأ فتقترب الثياب على التمزق، يخاف، يصرخ، يجري، يلاحقه الكثيرون، تخنفي صورهم، أشباح تحيط به.. يقرأ ما حفظه على يد أبيه.. تذوب الكلمات.. لا يتذكر سوى جملة "الله خير بعباده، مطلع على سرائرهم" .. يتذكر غضبه حين وقف زميله في وجهه قائلاً: "فريقي يتكون من أصحاب البشرة البيضاء، وحذك الأسود في الفريق الآخر، سنسميه فريق الرجل الأسود".

- ولماذا تسميه هذا الاسم؟

- لأنك اشتركت فيه، وأنت الأسود الوحيد بيننا.

- اقترب منه، أمسك ثيابه بيدي وأحكمت قبضتي على ياقته.. أضغط على أسناني فتخرج الكلمات من بينها حادة:

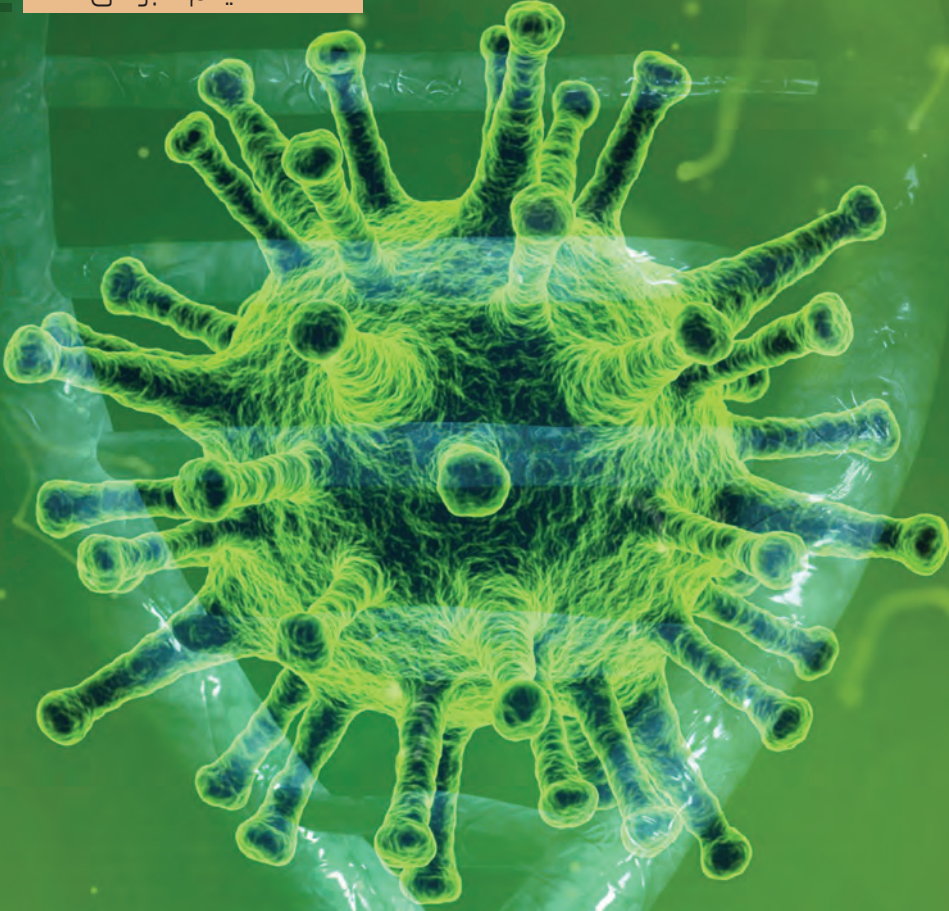
- أنت اعترفت بلسانك الذي يستحق القطع برجولتي، ففريقك أبيض، أما فريقي فهو فريق الرجل، ولا رجل هنا سواي، سأترك اللعب مع الصبية وأذهب لأتحدث مع رجال يشبهونني.

غادر مدرسته رافع الرأس، يرونه من الخلف شامخاً، مهيباً في تحديه.. يراه حارس المدرسة دامعاً تحفر القطرات مجراها، يجري فيجري خلفه، عند مفترق الطرق يختفي عنه.

بين الرجال بحث عن أخيه فلم يجده.. وحدهم الأموات لا يغيرون مكانهم، حين تطلبهم تجدهم، صامتون لكنهم قادرون على السماع.. يفيق من غيابه ليجده واقفاً أمامه، يمد يده، يطلب منه النهوض.. الرجال لا يتعشرون مهما انزلت بهم الحياة.. يرت أخوه على كتفه ثم يضمه إليه، يذهب بعيداً عن القبور، يحكي له عما رآه في غفوته.. تعلقو ضحكاته المختلطة بالبكاء، ويردد مع أخيه: "لا يعيب الرجال سوى.."، لا تبيّن الكلمات من ضحكهم العالي الذي يتردد صداه بين القبور. ■

(\*) كاتبة وأديبة مصرية.





## لكل من يبحث عن علاج كورونا

إذا كان لا بد من التضامن والتآزر والتساند الإنساني، فإن ذلك سيكون خلال الجوائح التي تضرب البشرية جمعاء دون التمييز بين دولة وأخرى، وشعب وآخر، وصغير وكبير، وغني وفقير.. وما كورونا إلا إحدى هذه الجوائح التي كان ينبغي أن يظهر فيها التضامن الإنساني والتآزر في أعلى مستوياته. بدأت الجائحة في ديسمبر ٢٠١٩، وانتشرت حتى الآن في ١٨٥ دولة، ولا يزال العالم إلى الآن عاجزاً عن إيجاد علاج محدد لها. تقوم الدول في هذه الأيام ببروتوكولات العلاج الخاصة بها، وتؤكد على أهمية الإجراءات الاحترازية وضرورتها في مكافحة هذا لفيروس. فإذا ما



تشاركت هذه الدول نتائج الدراسات التي أجريت من أجل العلاج، لازدادت معلوماتنا في هذا الصدد.

من خلال التجارب السريرية، يمكننا التعامل مع مرض كوفيد-19 في ثلاث صور سريرية مختلفة:

١- **الحالات الخفيفة:** هم المرضى الذين لا يعانون أية مشاكل في الرئتين، ويظهر عليهم فقط أعراض ارتفاع درجة الحرارة، والتهاب الحلق، والسعال، وآلام العضلات، ويكفي في هذه الحالات، الرعاية المنزلية.

٢- **حالات الإصابة المتوسطة:** هم المرضى الذين تظهر عليهم أعراض عدوى في الرئة، ومعظمهم بحاجة إلى الأكسجين.

٣- **الحالات الحرجة:** هم المرضى الذين يعانون من عدوى حادة بالرئة، وتستجيب هذه الحالة للعلاج أو تتطور بسرعة -على الرغم من العلاج- مصحوبة بصدمة إنتانية أي تسمم الدم (Septic shock) وفشل أعضاء متعددة، وارتفاع معدل الوفاة.

## نهج العلاج العام لكوفيد-19

إن الأفراد الذين تجاوزوا سن الخامسة والخمسين الذين يعانون من الأمراض المزمنة كال فشل الكلوي، والسكري، وارتفاع ضغط الدم، وغيرها من الأمراض، يجب متابعتهم عن كثب خوفاً من المضاعفات المحتملة. فينبغي تحديد إستراتيجيات العلاج لهؤلاء المرضى وفقاً لمسار الحالة السريرية في غضون ٤٨-٧٢ ساعة، ويجب مراعاة عنصرين أساسيين في نهج العلاج:

١- تثبيط تكاثر الفيروس بمضاد الفيروسات في فترة العلاج المبكرة.

٢- أما في حالات الإصابة الشديدة، فينبغي السيطرة على تطور متلازمة عاصفة السيتوكين التي يشير إليها ارتفاع نسبة إنترلوكين-١ (IL-1)، وإنترلوكين-٦ (IL-6)، ومتلازمة ضيق النفس الحادة (ARDS).

إن اختيار الدواء الذي سيستخدم مع الحالات الحرجة ووقت البدء فيه مهم للغاية. وقد يصاب الشخص بفيروس كورونا، رغم التزامه بكافة التدابير الاحترازية التي توصي بها السلطات الصحية من غسل اليدين، والتباعد الاجتماعي، واستخدام قناع الحماية،

والعزل وكذلك الحجر الصحي.. بالإضافة إلى اتخاذه التدابير اللازمة لتقوية الجهاز المناعي للجسم، ثم التزامه بعد ذلك ببروتوكولات العلاج، سيكون قد قام بدوره في حماية حياته المستودعة لديه.

## توصيات لزيادة مناعة الجسم للفيروس

نشرت منظمة الصحة العالمية بعض التوصيات لزيادة مناعة ومقاومة الجسم في مكافحة الوباء. لقد أصبح من المعلوم جيداً، أن حالة تغذية الفرد -بصرف النظر عن نقص المغذيات الدقيقة المرتبط بالعمر- يمكن أن تصبح عاملاً كبيراً في خطر الإصابة، وتؤثر كذلك في مسارها السريري ونتائجها. يمكننا تلخيص هذه التوصيات على النحو الآتي:

١- الحرص على شرب الماء باستمرار من ٨-١٠ أكواب يومياً.

٢- التقليل من تناول العصائر المضاف إليها السكر، والمشروبات الغازية.

٣- التقليل من تناول الدهون المشبعة والدهون المهدرجة والأطعمة الجاهزة (المصنعة).

٤- تناول الدهون غير المشبعة.

٥- الحرص على عدم استهلاك أكثر من ملعقة صغيرة واحدة من الملح يومياً، كما يجب تقييد استهلاك الصودا وغيرها من المشروبات الغازية.

ويمكن تلخيص الأطعمة والمكملات الغذائية الموصى بها أثناء فترة تفشي الوباء على النحو الآتي:

## أ- الفيتامينات والمعادن

• "فيتامين د"، هو فيتامين قابل للذوبان في الدهون، ويزداد امتصاصه في الجسم عند تناوله مع الدهون. وهو عنصر مهم في تقوية المناعة عن طريق زيادة تخليق البروتينات المضادة للميكروبات في الجسم، وزيادة تأثير مضادات الأكسدة. ونظراً لقلة تعرض الشخص للشمس أثناء إجراءات الحجر الصحي والإقامة في المنزل المفروضة في جائحة كوفيد-١٩، فإن مكملات "فيتامين د" خلال هذه الفترة، هي أكثر أهمية من الظروف العادية. فينصح بتناول مكملات "فيتامين د" بجرعات أعلى من الظروف العادية -مرتين أو ثلاث

**أكدت الدراسات على أن استهلاك الأطعمة التي تحتوي على البروبيوتيك، مثل الزبادي والفطر الهندي والبوظة والمخلل خفيف الملح، وعصير اللفت، يساعد في دعم جهاز المناعة ضد الالتهابات الفيروسية.**

حراه

كوفيد-١٩ نظرًا لميزاته المشابهة للأدوية المستخدمة في علاج الملاريا. ومع ذلك، يجب على الأفراد الذين يعانون من حساسية الفول تجنب استهلاكه، بسبب خطر الإصابة بفقر الدم الانحلالي (فقر الدم المدمر).

"الكيرسيتين"، وهو مادة نباتية من مجموعة البوليفينول، وهو موجود في الأطعمة مثل البصل والتفاح والطماطم والبروكلي، وكذلك مادة الكاتشين الموجودة في الفراولة والكرز والتوت الأسود والأحمر والشاي الأخضر والأسود.. تلعب دورًا كبيرًا في الحد من تأثير فيروس كوفيد-١٩. كما أنهما (الكيرسيتين والكاتشين) أيضًا يعملان كمضادين للفيروسات من خلال خصائصها المضادة للفيروسات والأكسدة والالتهابات والإنزيمات.

كما ثبت أن مركب الريسفيراتول الموجود بوفرة في قشر العنب الأحمر، والفول السوداني، والبوليفينول الطبيعي، يزيد من مقاومة الخلايا المصابة بالفيروس ويمنع العدوى.

### نبذة الشاي

أظهرت الدراسات الإكلينيكية، أن شاي عشبة القنفذية المعروف بشاي الشتاء أو شاي نزلات البرد، يقلل التهابات الجهاز التنفسي المتكررة، والمضاعفات اللاحقة؛ مثل الالتهاب الرئوي والتهاب اللوزتين والتهاب الأذن الوسطى. ومع ذلك، يجب ألا يتناول من قبل الأفراد المصابين بأمراض المناعة الذاتية، مثل السل والتصلب المتعدد والتهاب المفاصل الروماتويدي والسكري والذئبة والحساسية من الفصيلة الأفحوانية. يشار إلى أن استخدام عشبة القنفذية، يجب ألا يتجاوز أسبوعًا واحدًا، ويجب أن تكون الجرعة القصوى ٩٠٠ مجم يوميًا، ويجب تناول

مرات- خلال جائحة كوفيد-١٩.

• "فيتامين ج"، وهو فيتامين أساسي يجب تناوله من الخارج، وهو أحد مضادات الأكسدة الطبيعية. وهو فيتامين مهم لجهاز المناعة الطبيعي والمكتسب، حيث يعمل على تطوير وإصلاح الأنسجة التي تعمل كحاجز صدِّ ضدَّ مسببات الأمراض. من المعروف أن "فيتامين ج" يحول دون تحول التهابات الجهاز التنفسي العلوي، إلى التهابات بالجهاز التنفسي السفلي. كما أن أعداد الدراسات التي تظهر أن إعطاء جرعات عالية من "فيتامين ج"، له نتائج ناجعة لدى المرضى الذين يعانون من عدوى كوفيد-١٩ المتوسطة والشديدة.

• كذلك يوجد النارجين بشكل طبيعي في قشور ثمار الحمضيات، مثل الليمون والبرغموت، ويوجد كذلك في الطماطم والتين. يوصى باستخدام قشور الأغذية الغنية بالنارينجين؛ للتصدي لعدوى كوفيد-١٩ نظرًا لما له من مضادات الأكسدة، وتقوية الحمض النووي، ومضاد للسرطان، ومضاد للبكتيريا والفيروسات، فضلًا عن خصائصه المضادة للبلغم والالتهابات، إلى جانب حفاظه على صحة القلب.

• يقوي "فيتامين أ" الجهاز المناعي لما له من خصائص مضادة للالتهابات، كما أنه يساهم في نمو الخلايا والحفاظ على الأنسجة الطلائية، ويساعد أيضًا في حماية الأسنان والعظام والأنسجة الرخوة والجهاز التنفسي وصحة العين. بالإضافة إلى ذلك، له تأثير علاجي في بعض الأمراض المعدية، والتقليل من قابلية التأثر بالعدوى.

• "الزنك" عنصر له بصمة مهمة في تنظيم عمل الجهاز المناعي. وثبت أن نقص الزنك، يزيد من خطر الإصابة بالالتهاب الرئوي، بينما تقلل مستويات الزنك المرتفعة، من خطر الإصابة. فالزنك عنصر دقيق وقائي ضد الالتهاب الرئوي الناجم عن كوفيد-١٩، ويقلل من مدة الالتهاب الرئوي.

والعدس والفول الأخضر، من الأغذية الغنية بالزنك، وهي تحتوي على مركب عطري يسمى "كينون". يلتفت هذا الجزيء النشط بيولوجيًا-الذي يعتمد على مادة الكينين- الانتباه باعتباره عنصرًا غذائيًا مهمًا لمرضى



المفرطة للجهاز المناعي. والحل في هذه الحالة يكمن في اللاكتوفيرين الذي يساهم في إعادة هذه الاستجابة المفرطة للجهاز المناعي إلى مستوياتها الطبيعية. ومن ثم تم إعطاء مشروب مضاف إليه اللاكتوفيرين لمجموعة مرضى كوفيد-19 لمدة عشرة أيام، وتبين أن الأعراض مثل الصداع وآلام العضلات والضعف والسعال الجاف قد خفت بدرجة كبيرة.

بيتا جلوكان؛ وهو متعدد السكريد الموجود في الأطعمة مثل الشوفان والشعير والفطر. وتم التوصية به لعِدائي الماراثون وكبار السن والأطفال والأفراد المجهدين، على أنه يحسن الصحة العامة، ويوفر الدعم المناعي، ويقلل من أعراض عدوى الجهاز التنفسي العلوي ويقصر مدته. ونظرًا لأن كوفيد-19 يضر أيضًا بأعضاء الجهاز التنفسي مثل الكلى، فمن الملاحظ أن مرضى الكلى، يجب أن يستخدموا الجيوب الكاملة التي تحتوي على بيتا جلوكان أثناء الوفاء.

يجب أيضًا مراعاة أن جرعات معينة من هذه المواد النشطة بيولوجيًا، يمكن أن تسبب آثارًا جانبية. ولا يزال العالم بحاجة إلى دراسات علمية وتجارب سريرية جديدة، لتحديد المستويات العلاجية الناجعة والآمنة. ■

\*) كاتب وأكاديمي تركي. الترجمة عن التركية: خالد جمال عبد الناصر زغلول.

الجرعة سواء كانت شرابًا أو كبسولاً، وفق توصيات الطبيب المعالج. من ناحية أخرى، هناك دراسات تفيد بأن عشبة القنفذية يمكن أن تحفز إنتاج بعض المؤشرات الحيوية التي يمكن أن تؤدي إلى تفاقم مرض كوفيد-19، لذلك ينبغي ألا تستخدم إلا تحت إشراف الطبيب.

### البروبيوتيك

اكتسب عنصر البروبيوتيك أهمية كبرى خلال فترة جائحة كورونا، نظرًا لأن له تأثيرًا إيجابيًا على الجهاز المناعي، ويقلل من أعراض نزلات البرد بدرجة ما. وقد أكدت الدراسات على أن استهلاك الأطعمة التي تحتوي على البروبيوتيك، مثل الزبادي والفطر الهندي والبوظة والمخلل خفيف الملح، وعصير اللفت، سيساعد في دعم جهاز المناعة ضد التهابات الفيروسية.

### المكملات الغذائية

اللاكتوفيرين؛ عنصر موجود بشكل طبيعي في جميع سوائل الجسم، بما في ذلك الدموع والدم وحتى لبن الأم، ولا غنى عنه من أجل التعافي. يلعب اللاكتوفيرين، المتوفر بكثرة في اللبأ، الذي يُفرز لأول مرة بعد الولادة، دورًا شديد الأهمية في حماية الأطفال حديثي الولادة من الأمراض. لقد وجد في الوفيات الناجمة عن كوفيد-19، أن مستويات بعض المؤشرات الالتهابية لجهاز المناعة قد ازدادت بشكل أكبر بسبب الاستجابة

## حراء تعقد ندوة دولية بعنوان المشترك الإنساني

بتاريخ ٣٠ يناير/كانون ثاني ٢٠٢١،  
وبمشاركة نخبة من العلماء والمفكرين  
والمتقنين من دول عديدة، عقدت مجلة

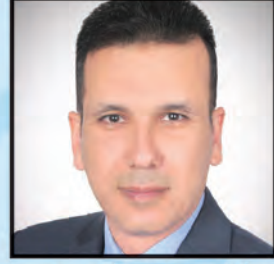
ب

حراء ندوة دولية عبر منصة الزووم (zoom) بعنوان "المشترك  
الإنساني.. نحو بناء معرفي لثقافة الحوار والتعايش".  
وهو عنوان لآخر إصدارات مجلة حراء من الكتب، حيث  
جمع بين دفتيه مقالات متعددة نشرت عبر المجلة على  
مدى اثني عشر عامًا ما بين ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٨، قدّم له  
فضيلة الأستاذ الدكتور "علي جمعة" عضو هيئة كبار  
العلماء ومفتي الديار المصرية السابق. ولأهمية المحتوى  
وضرورته، اختارت حراء أن تعقد ندوة دولية له، دعت  
إليها عددًا من رموز الفكر والعلم، ودعاة الوسطية والإخاء  
من مختلف الديانات.





أ.د/ هدى درويش



أ.د/ عبد الواحد أبو حطب

المجلة، فرحب فيها بالحضور الكريم، وأشاد بجهودهم لإرساء قيم المحبة والسلام، وشكرهم على تليبتهم الدعوة لحضور الندوة.

ثم أدار مقدّم الندوة الحوار إلى الأستاذة الدكتورة "هدى درويش"، وكانت كلمتها بعنوان "التعايش خيار أم ضرورة؟". وقد افتتحت الدكتورة "هدى درويش" كلمتها بنصوص من القرآن والتوراة والإنجيل؛ تدعم السلام والمحبة، وتؤكد على التعايش المشترك. وأكدت في كلمتها على أن التلاقي الفكري واستفادة كل طرف من الآخر، هو طريق الإبداع والابتكار، وأن ذلك سيلقي ثماره لدى الشعوب بترقيها وسموها. كذلك أكدت على أن التعايش ضرورة في مواجهة المعضلات والكوارث العالمية، فهو السبيل الأمثل لخدمة الإنسانية وتحقيق المصالح البشرية العليا، وفي مقدمتها استتباب الأمن والسلم في الأرض والحيلولة دون قيام الحروب والنزاعات، وردع كل أسباب العدوان والظلم والاضطهاد الذي يلحق بالأفراد والجماعات ورفض استعلاء جنس على آخر تحت أي دعوى.

والتعاون في الكوارث الكونية التي تحدث في أوقات غير معلومة من فيضانات ورياح وأعاصير وأوبئة، التي تهدد الوجود الإنساني، وكفى بجائحة كورونا دليلاً لضرورة التعايش المشترك. وأشادت الدكتورة هدى، بجهود الأستاذ فتح الله كولن في هذا الإطار، ومسايعه مع بابا الفاتيكان عام ١٩٩٠، وكيف أن لقاءاته تلك كانت تطبيقاً عملياً لمفهوم التعايش بين الإنسانية، ونقلت نصوصاً من أقواله وعباراته القوية

عقدت الندوة عبر منصة زووم، نظرًا لم يواجهه العالم حاليًا من احتراقات في التجمعات بكل صورها. واستضافت الندوة كلاً من الأستاذة الدكتورة "هدى درويش" أستاذ الأديان وعميد المعهد العالي للدراسات الآسيوية في مصر، الأستاذ الدكتور "إكرام لمعي" أستاذ مقارنة الأديان بكليات اللاهوت بمصر والشرق الأوسط، والأستاذ الدكتور "عبد اللطيف أبو بكر" أستاذ ورئيس قسم المناهج وطرق التدريس بجامعة قناة السويس بمصر.

قدّم الندوة وأدار الحوار الدكتور "عبد الواحد محمد أبو حطب" أستاذ أصول اللغة في جامعة الأزهر بمصر. استهلّت الندوة بكلمة من المقدم، أكد فيها على عالمية الإسلام وتأكيده القرآن الكريم على تلك العالمية في غير موضع منه، والأدلة الكثيرة من أحاديث النبي ﷺ ودعوته للسلم والتآخي، كما استشهد بنصوص من الكتاب المقدس الذي يدعم الفكرة ويؤسس لها، وبين الأسباب التي تدعو إلى الحوار، والضرورات التي تستلزم التعايش. وضرب مثلاً بوثيقة الأزهر الشريف التي أهداها للعالم عن الأخوة الإنسانية في فبراير ٢٠١٩ بالاشتراك مع بابا الفاتيكان بابا الكنيسة الكاثوليكية، تلك الوثيقة التي أقرتها الأمم المتحدة وجعلت يوم الرابع من فبراير يوماً سنوياً لها شعاره "الأخوة الإنسانية"، وكيف أن مجلة حراء كانت تسعى في نفس هذا الجانب وفق هذه الرؤية المشتركة من العمل على الإخاء والمحبة والتعايش بين بني الإنسان؛ بأفلام مفكرها وكاتبها وإدارة تحريرها.. ثم أعطيت الكلمة للأستاذ "عبد السلام أبو حسن" سكرتير تحرير



أ.د/ عبد اللطيف أبو بكر



أ.د/ إكرام لمعي



وطالب بالوضوء والاعتسال باعتبارهما مصطلحين مهمين في الإسلام والمسيحية، إذعاناً بمرحلة جديدة قبل الوقوف على أرضية مشتركة، لنعرف ما يجب أن يكون عليه مستقبلنا، وقبل الإجابة عن سؤال كلمته الرئيسي قال: لا بد من تحديد الرؤية نحو هذا المشترك، وضرورة التخطيط له والاستعانة بالخبرات والكفاءات لنصنع الصورة النهائية لمستقبلنا، وما ينبغي أن يعيشه أولادنا وأحفادنا، وبين أن للرؤية أركاناً مهمة: بيئة، زمان، فلسفة. فضروري أن تكون البيئة محلية بأفكارها لا مستوردة ولا مقلدة، وأن تراعي التاريخ وما يفرضه، فالله رب التاريخ، ومن لا تاريخ له من الصعب أن يصنع مستقبلاً، مع فلسفة تصوغ الأزمة وتصنع حلولها وتوازن بين كل عناصرها. وختم برؤيته لتحقيق المشترك، وأنه لن يتحقق إلا بمبادئ مهمة:

- 1- أن تبدأ ولا تخجل ببدايتك مهما تكن صغيرة ما دمت على صواب.
- 2- ضرورة العمل والنمو، فمن يجاهد سيتصدر، ومن يتكاسل فسيندر.
- 3- التحذير من خطورة التسرع والتعجل في حصد النتائج.
- 4- عند النجاح والشهرة، احذر أن تصطدم بهما، فيضربك الكبرياء ويشتك.

والناجحون فقط هم من يقدمون رؤى متكاملة معتمدة على الماضي متطلعة على المستقبل. ولا ينبغي أن تغيب المبادئ والرؤى الصادقة عن أصحابها، لأنهم إن خانوا مبادئهم سيخونون أنفسهم، ولن يحققوا نجاحاً مطلقاً. ثم تحدث الأستاذ الدكتور "عبد اللطيف أبو بكر"

في هذا الجانب، "وأن المرء لا يستطيع أن يحقق شيئاً إيجابياً في جوّ تسيطر عليه العداوة".

وفي ختام كلمتها أكدت الدكتورة هدى، على أن الحضارات تحالف وتتلاقح وتتكامل، لكنها لا تتصارع ولا تتقاتل، وأن التعايش ضرورة لا محالة.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور "إكرام لمعي"، وكانت كلمته سؤالاً مهماً: هل يمكن بناء مشترك إنساني؟

واستهل كلمته بتقديم الشكر لمجلة حراء والثناء على إدارتها ومنهجها الوسطي، وسعادته بالمحتوى الذي يعنى بالمشترك الإنساني، والعلاقة بين الأديان والحوار والتعايش.

وقد فضل أن يبدأ بتعريفات مهمة لمصطلحات: "الإنسان، المشترك، المشترك الإنساني".

عرّف "الإنسان" بأنه: "كائن حي عاقل ناطق علاقاتي (اجتماعي): لا يفضل العيش بمفرده) مستقبلي، ينمو فكره باستمرار.

و"المشترك": ما يشترك فيه الإنسان مع أخيه الإنسان.

أما "المشترك الإنساني" فهو عام وخاص؛ عام يشترك فيه جميع البشر عامة من عقل وعاطفة وجنس وحرص على الحياة وغيرها، وخاص بين كل إنسان وبين من سبقوه في تخصصه أو مجاله.

فمن المعروف أن المرء يزداد بمعارف غيره وأنه يقف على ما حققه من إنجازات يتقوى بها ويستند إليها. وحاول الدكتور "إكرام لمعي" الإجابة على السؤال الأهم: كيف يمكننا أن نبني مشتركاً، على الرغم من اختلافنا في الدين أو الجنس أو المذهب أو التخصص أو غير ذلك؟

في كلمته التي وسمها بـ"منطلقات التعايش المشترك في الأديان السماوية".

استهلها بشكر إدارة تحرير المجلة وجهودها المتزامية في هذا الإطار، وقدم الشكر للمتحدثين ولمقدم الندوة على كلماتهم المهمة، وفضل أن يستلهم كلمته من أحاديثهم وأن يبني عليها.. وتساءل إذا لم يكن الحوار والتعايش الآن، فمتى؟ وإذا لم نكن نحن، فمن؟ وأشار إلى أن القضية لا تحتمل تأجيلاً ولا تأخيراً، وأنه علينا أن نستفيد من التجارب السابقة لنقوم بالأخطاء ونتلافى المنحنيات.. فلا يمكن -كما يقول أينشتاين- أن نسير في نفس الطريق ثم نتوقع أن نجد أنفسنا في مكان آخر، أو أن نعالج أمراً بنفس الطريق ونتوقع أن تكون نتيجته مغايرة. وقضية الرؤية المشتركة تمثل حدود التماس بين الجميع. وقد عالج الإسلام قضية التعايش من منظور كلي ورؤية جامعة، والإنسان كائن مشترك بين قبضة من الأرض ونفخة من الله، والرحم الإنسانية رحم جامعة بين بني آدم، وهي رحم الأخوة التي تجمع ولا تفرق، وأن التعايش تفاعل ويعني الألفة والمودة، وهذا التعايش يمكن أن يقوم على قاعدة ذهبية؛ "أصالة بلا جمود وانفتاح بلا ذوبان"، وستحفظ هذه القاعدة لكل إنسان، ذاته دون حذف أو إلغاء أو تهميش للآخر. ومن أهم مظاهر التعايش، التعايش بالعدل والإقرار بالاختلاف، ليكون اختلاف تنوع وثراء وليس تماهياً.

ثم ساق الدكتور "عبد اللطيف" شواهد عدة من القرآن الكريم والكتاب المقدس وأقوال الفلاسفة والمبدعين، التي تؤكد على ضرورة الاختلاف المقبول الذي يدفع للتكامل. ثم أكد على منطلق مهم وهو منطلق الكرامة الإنسانية، وأن البناء على الماضي أساسي دون فتح النيران عليه لئلا يهاجمنا المستقبل.

### بعد انتهاء الكلمات الرئيسية

أفسح مدير الندوة المجال للنقاش واستقبل مداخلتين، إحداهما للدكتور "ثروت قادس" رئيس الأكاديمية الدولية للحوار: شكر فيها الحضور والمجلة وأشاد بها، ودعا لضرورة نقل الحوار للغرب للتغلب على الأفكار المعادية لرسالة السلم بين الحضارات، وشرح صحيح الدين لهم،

وضرورة العمل على أن نعيش معاً، نفكر معاً، نعمل معاً. ثم تحدث الدكتور "عبد المجيد بوشبكة" الأكاديمي المغربي وأحد كتاب مجلة حراء، في المداخلة الثانية عن مسؤولية المؤمنين في العالم اليوم عن تحقيق التعايش، وأهمية إقناع العالم بالمشترك الإنساني، وتجاوز عثراته وترميم جراحاته لأنه واسطة عقد حلول المشكلات.. ثم وضح الدور الإنساني العظيم الذي تبناه الأستاذ فتح الله كولن طوال حياته ومنهجه.

وفي المداخلة الثالثة للقس "شكري شاكِر"، أكد فيها على قضية الحوار، وأنها لا تحتمل تأجيلاً، وشكر الحضور جميعاً، وحذر من الفتاوى المتطرفة وخطورتها على المجتمع كله.

وفي ختام الندوة تحدث الدكتور "صابر المشرفي" رئيس تحرير إصدارة نسمة التي تعنى بالدراسات الاجتماعية والحضارية، وشكر الضيوف والمفكرين، وسجل إشاداته بكلماتهم وإسهاماتهم، وعرض نماذج لأفكار الأستاذ فتح الله كولن التي كانت نماذج نظرية وتطبيقية معاً، وأكد من خلالها الأستاذ كولن على أن التمييز يتعارض مع القيمة التي منحها الله تعالى للإنسان، ودعوته للتحدث لا للصراع، ولإعلان الحرب على فكرة صراع الحضارات وصدامها. وأنه يجب على من يحاول الإصلاح أن يصلح نفسه أولاً.

ثم ختم الدكتور "عبد الواحد أبو حطب" مقدم الندوة اللقاء، ملخصاً لأهم أفكار المشاركين، والدروس المستفادة من كلماتهم، ومداخلات الحضور، والدعوة لعقد مزيد من تلك الندوات البناءة المهمة في ظل ما نعاينه في العالم.. واستعان بفواصل بين كلمات الضيوف من مقالات كتاب "المشترك الإنساني"، ووجه الشكر للمشاركين في الندوة لإدارة التحرير والفريق التقني ولمشاهدي الندوة عبر الفيس بوك واليوتيوب. ■

(\*) أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر / مصر.



## أنين الروح

كما يدعو إلى البحث بمختلف السبل المشروعة عن طرقٍ لاحتضان الإنسانية جمعاء.

وعلى مثل هذا النحو تستمر معالجة الأستاذ "كولن" في هذا الكتاب لبعض الأمور الحيوية المهمة، مثل الواقع وهمومه، وأهمية الالتزام والتمسك بأصول الدين، وعاقبة العدا لأولياء الله، ودور الابتلاءات والمصائب في إيصال أربابها إلى التوحيد الحقيقي، ونوعية الأفعال التي تثير غيرة الله، والدور الاجتماعي والأخلاقي المنوط بوسائل الإعلام، ومعايير الاشتغال بها، وكيفية الرد على الاتهامات والافتراءات التي يتعرض لها أناس اختاروا لأنفسهم منذ البداية طريق المحبة والتسامح والتضحية والتفاني.. إلى غير ذلك من الموضوعات الثرية والقيمة التي احتواها هذا الكتاب.

ومن اللافت للنظر في هذه السلسلة، طريقة تنظيم المحتوى؛ فقد جاءت على طريقة السؤال والجواب، وهذه الطريقة تبين إلى جانب العرض الرائق الذي يتميز به الأستاذ "كولن" في تناول الموضوعات، نوعية الأسئلة التي تشغل بال المتابعين والمهتمين بشأن العمل الإصلاحي. لقد أسهمت دار الانبعاث في إثراء المكتبة المعرفية والثقافية بإصدارها هذه الحلقة الجديدة من حلقات سلسلة "الجرة المشروخة"، حيث أتاحت للقارئ العربي أن يطالع أحدث كتابات الأستاذ "كولن"، ويتابع نشاطه الفكري والثقافي، نسأل الله تعالى أن يمتعه بموفور الصحة لتواصل إبداعاته القلمية وعطاءاته الفكرية والروحية. ■

(\*) كاتب وباحث مصري.

ص

صدر حديثاً عن دار الانبعاث ٢٠٢١ كتاب جديد للأستاذ المفكر العلامة محمد فتح الله كولن بعنوان "أنين روح"، ترجمة كل من الدكتور "عبد الرازق أحمد" والدكتور "عبد الله عنتر"، وحرره الأستاذ "سليمان أحمد شيخ سليمان". الكتاب حلقة جديدة من حلقات سلسلة "الجرة المشروخة" التركية التي ترجم منها حتى الآن مجموعة من الكتب منها: "جهود التجديد"، و"شد الرحال لغاية سامية"، و"إشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى"، و"عقبات في سبيل الحق".. ويمثل محتوى الكتاب مجموعة من الدروس التي ألقاها الأستاذ المربي فتح الله كولن على طلابه، لينتفع الناس بما حوته من معانٍ عميقة وحقائق قيمة، وزادٍ روحي يتبَّع به السالكون درب الغايات السامية، ويوظفون كل ما حباهم الله من قدرات وإمكانات في سبيل الغاية العليا المنشودة التي نذروا حياتهم من أجلها. يتضمن الكتاب ثمانية وعشرين موضوعاً، تبدأ من تبيان الغاية المثالية التي يطمح إليها كل سالك في هذا الدرب، وتدعو إلى ضرورة التمسك بها، والعيش وفقاً لها، حتى يتمكن من التخلص من أسارة الأنانية والنجاة من الترددي في هوة النرجسية.. ثم يعالج الكتاب بعد ذلك بيان الأسلوب الأمثل للإرشاد، وكيف تقع الكلمة من النفوس موقعاً مؤثراً، وكذلك أنجع الوسائل التي تحافظ على نشاط الحياة الدينية وتعمل على تجديدها. ولأن الأجيال القادمة هي شغل الأستاذ "كولن" الشاغل، فهو ينبه إلى ضرورة أن تستهدف المشاريع والخطط الكبرى التي يسعى حملة رسالة الإحياء في تنفيذها الأجيال التي ستأتي بعد خمسين أو ستين سنة،



مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية  
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث  
للنشر والتوزيع

رئيس التحرير  
هانئ رسلان

مدير التحرير  
إسماعيل قايار

سكرتير التحرير  
عبد السلام كمال أبو حسن

الإخراج الفني  
أحمد شحاته  
محمد أشرف

منسق الاشتراكات والتوزيع  
علاء الكوايري  
+201000780841

نوع النشر  
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة  
دار الجمهورية للطباعة

رقم الإيداع  
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-83

## المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علمياً وفكرياً وسلوكياً.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلاً ومضموناً.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البناء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تألفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البناء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

## معايير النشر

- أن تكون المادة المرسله جديدة لم يسبق نشرها.
  - ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تليخياً واختصاراً.
  - المادة المرسله تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، وهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
  - المجلة تحتفظ بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقاً للتوقيت الذي تراه مناسباً.
  - للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسله إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصراً. علماً بأن ما ينشر إلكترونياً لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
  - المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
  - للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
  - المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
  - مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
  - مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.
- ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: [hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### EGYPT

٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.  
اشترك وتوزيع هاتف: +201000780841  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### NIGERIA

Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.  
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja  
Phone: +2349030222525  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### IRAQ

Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil  
Phone: +964 750 713 8000  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### USA

Tughra Books  
345 Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA  
Phone: +1 732 868 0210  
Fax: +1 732 868 0211  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

للتواصل مع إدارة المجلة | [hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

+2 01094338182

- حلقة جديدة من حلقات سلسلة "الجرة المشروخة"
- زاد روحي يتبلّغ به السالكون درب الغايات السامية
- معان عميقة وحقائق قيمة
- كتاب جديد للأستاذ فتح الله كولن

صدر حديثاً



00201023201002 | daralinbiath@gmail.com | مركز التوزيع: دار الانبعاث

www.souq.com

مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | مكتبة فكرة ستي ستارز



مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

## أنت هدى

بأيدي ذوي الرّشدِ أنتَ هدى  
تُقبلُ الحَيَارَى تُضيءُ المَدَى  
وأيدي ذَوِي الطَّيْشِ أنتَ بها  
ضلالٌ ولغوٌ فناءٌ رَدَى  
فمِنْ أَجْلِ دُنْيَا خُطَاهُمْ مَضَتْ  
لتشويشِ عقلٍ فَضَاعَتْ سُدَى



ISSN 2357-0229

83

www.hiragate.com